

(١٢) من تراث الكوثري

دفع شبهة التشبيه

تأليف

الإمام عبد الرحمن أبي الحسن الجوزي

المنوفى عام ٥٩٧ هـ

تحقيق وتعليق

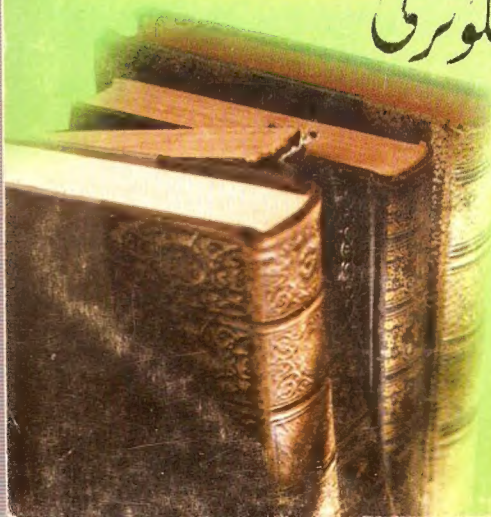
محمد زاهد الكوثري

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

٥١٢٠٨٤٧ ☎





١٢ من تراث الكوثري

دفع شبهة التشبيه

تأليف

الإمام عبد الرحمن أبي الحسن الجوزي

المنوفى عام ٥٩٧ هـ

تحقيق وتعليق

محمد زاهد الكوثري

النَّاشِر

المكتبة الأنثروبومترية للتراث

٩ در باب الأثر الكائن خلف الباع الأثر الشريف ت : ٥١٢٠٨٤٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

« هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به »

الحمد لله الذى هدانا صراطاً مستقيماً بالإقرار الخالى عن التشبيه والتعطيل والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى نهى عن عبادة الأصنام والتماثيل .

أما بعد فهذا كتاب لابن الجوزى حجه عنا هذه البرهة - بل عن كثير من المتخصصين فى معرفة المؤلفات العربية - فئة من أشياخ الذين رد عليهم المصنف عملت على محو اسمه ورسمه ؛ قد حملنى على طبعه انتشار كتب المشبهة - مخطوطها ومطبوعها - فى الناس ، واشتغال بعض المؤلفين بالدعوة إلى التشبيه حتى اليوم والحرص على نشر تصانيف ابن الجوزى النافعة وكتب الردود الماتعة .

وقد علق عليه الأستاذ الشيخ محمد زاهد الكوثرى - نزيل القاهرة - أدام الله النفع به .

قال الشيخ الإمام الحافظ العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن
على بن الجوزي الصديقي البكري :

اعلم وفقك الله تعالى أننى لما تتبعت مذهب الإمام أحمد
رحمه الله تعالى رأيت الرجل كبير القدر فى العلوم ، قد بالغ فى
النظر فى علوم الفقه ومذاهب القدماء حتى لا تأتى مسألة إلا وله
فرايت مذهبه خالياً من التصانيف التى كثر جنسها عند الخصوم ،
فصنفت تفاسير مطولة : منها « المغنى » مجلدات و « زاد المسير »
و « تذكرة الأريب » وغير ذلك .

وفى الحديث كتبنا : منها « جامع المسانيد » و « الحقائق »
و « نقى النقل » وكتبنا كثيرة فى الجرح والتعديل .

وما رأيت لهم تعليقة فى الخلاف ، إلا أن القاضى (أبا
يعلى) قال : كنت أقول ما لأهل المذاهب يذكرون الخلاف مع
خصومهم ولا يذكرون أحمد ^(١) ثم عذرتهم إذ ليس لنا تعليقة فى

(١) كان الإمام أحمد رضى الله عنه لزم الإمام أبا يوسف فى بدء أمره ، كما حكى ذلك عنه
يحيى بن معين حيث يقول فى كتابه - معرفة التاريخ والعلل (رواية أبى العباس الأصم عن
أبى الفضل العباس بن محمد الدورى عنه) - : سمعت أحمد بن حنبل يقول : اختلفت
إلى أبى يوسف ثم اختلفت إلى الناس بعده اهـ . وكان يشتغل بكتب محمد بن الحسن
ويستفيد منها أجوبة دقيقة ، على ما رواه الخطيب بإسناده إلى الحربى عنه ، وصحب كثيراً
من فقهاء العراق ، وجالس الشافعى فى قدمته الثانية ببغداد بعد وفاة محمد ، فصار له من
الفقه حظ وافر ، ومع هذا كله كان الغالب عليه وعلى أصحابه رواية الحديث ، ولم =

الفقه ، قال فصنفت لهم تعليقة .

قلت وتعليقته لم يحقق فيها بيان الصحة والطعن في المردود وذكر فيها أقيسة طردية ، ورأيت من يلقي الدرس من أصحابنا يفرع إلى تعليقة الاصطلام أو تعليقة أسعد أو تعليقة العاملى أو تعليقة الشريف ، ويستعير منها استعارات ، فصنفت لهم تعاليق : منها كتاب « الإنصاف فى مسائل الخلاف » ومنها « جنة النظر وجنة الفطر » ومنها « عمدة الدلائل فى مشهور المسائل » .

ثم رأيت جمع أحاديث التعليق التى يحتج بها أهل المذاهب وبينت تصحيح الصحيح وطعن المطعون فيه ، وعملت كتاباً فى المذهب أدخلتها فيه وسميته « البازى الأشهب المنقض على مخالفى المذهب » .

= يكن يجرى على طريقة الفقهاء فى التفريع - والتأصيل وتبيين مناط الأحكام والتعليل ، حتى قلت انفراداته فى الفروع عمن تقدمه من الفقهاء ، فإن خالف الشافعى مثلاً فى شيء من قوله الجديد تراه يوافق فيه أبا حنيفة أو أحد أصحابه أو مالكا رضى الله عنهم ، فكان يستغنى أصحاب كتب الخلاف عن ذكر أقوال أحمد بذكر خلاف من تقدمه من الفقهاء ، ولم يذع تدوين أقواله مع أقوال بقية الفقهاء فى كتب الخلاف إلا فى عهد ابن هبيرة الوزير فإنه لما ألف إفصاحه وخص من بين مجلداته مجلداً ضخماً باختلاف الأئمة الأربعة ، واعتنى به عناية تامة وسعى فى نشره بصرف مبالغ طائلة ، أخذ من يكتب فى الخلاف يذكر أقوال أحمد مع أقوال غيره من الأئمة ، وكان ابن جرير أدركه سناً وأدرك أصحابه لقاء ومع ذلك لم يذكر أقواله فيما كتبه فى اختلاف الفقهاء مع ذكره من هو على شاكلة أبى بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم ، فسأله الحنابلة عن ذلك فقال ما معناه : لم يكن أحمد من الفقهاء وإنما كان من أهل الحديث وما كنت لقيته حتى أخذ منه ولا لقيت أصحاباً له يحق أن يؤخذ منهم فثارت ثائرة الحنابلة عليه وجرى ما ينقله ياقوت فى معجم الأدباء وابن الأثير فى كامله . (ز) .

وصنفت فى الفروع : كتاب « المذهب فى المذهب » وكتاب « مسبوک الذهب » وكتاب « البلغة » وفى أصول الدين كتاب « منهاج الوصول إلى علم الأصول » ، وقد بلغت مصنفاتى مائتى مصنف وخمسين مصنفًا .

ورأيت من أصحابنا من تكلم فى الأصول بما لا يصلح ، وانتدب للتصنيف ثلاثة : أبو عبد الله بن حامد ^(١) وصاحبه القاضى « أو يعلى » ^(٢) ، وابن الزاغونى ^(٣) فصنفوا كتباً شأنوا بها المذهب ، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحس ، فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه الصلاة والسلام على صورته فأتبوا له صورة ووجها زائداً على الذات ، وعينين ،

(١) هو شيخ الحنابلة أبو عبد الله الحسن بن حامد بن على البغدادى الوراق المتوفى سنة ثلاث وأربعمائة ، كان من أكبر مصنفيهـم ، له شرح أصول الدين ، فيه طامات سيورد المصنف بعضها ، ولديه تخرج القاضى أو يعلى الحنبلى . (ز) .

(٢) هو القاضى أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء الحنبلى المتوفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، وفيه يقول أبو محمد التميمى ما معناه : لقد شان أبو يعلى الحنابلة شيئاً لا يغسله ماء البحار ، على ما نقله ابن الأثير وأبو الفداء ، وعزا فى طبقاته إلى الإمام أحمد ما يبعد أن يصح عنه كل البعد ، ونقل ابن بدران الدشتى فى جزء إثبات الحد عن كتاب الأصول لأبى يعلى هذا ما هو أفظع مما سينقله المصنف عنه فى التشبيه ، على تضارب فى أقواله بين تنزيه وتشبيه ، ولا يخفى على الناظر أن غير الحافظ أبى يعلى أحمد ابن على الموصلى صاحب المسند وراوى كتب أبى يوسف عن بشر بن الوليد . (ز)

(٣) هو أبو الحسن على بن عبيد الله بن نصر الزاغونى الحنبلى المتوفى سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، وهو من مشايخ المصنف ، وله فى كتاب الإيضاح من غرائب التشبيه ما يحار فيه النبیه . (ز)

وفماً ، ولهوات ، وأضراساً ، وأضواء ، لوجهه هي السبحات ، ويدين ،
وأصابع ، وكفاً ، وخفصراً ، وإبهاماً ، وصدرأ ، وفخذأ ، وساقين ،
ورجلين ، وقالوا : ما سمعنا بذكر الرأس .

وقالوا يجوز أن يمس ويمس ويدنى العبد من ذاته ، وقال
بعضهم ويتنفس ، ثم إنهم يرضون العوام بقولهم (لا كما يعقل) .

وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات فسموها بالصفات
تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل ، ولم
يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله
تعالى : ولا إلى إلغاء ما توجبه الظواهر من سمات الحدث ، ولم
يقنعوا بأن يقولوا : صفة فعل ، حتى قالوا : صفة ذات .

ثم لما أثبوا أنها صفات قالوا لا نحملها على توجيه اللغة مثل
يد على نعمة وقدرة ، ولا مجيئ وإتيان على معنى برّ ولطف ، ولا
ساق على شدة ، بل قالوا نجلها على ظواهرها المتعارفة ، والظاهر
هو المعهود من نعوت آدميين والشئ إنما يحمل على حقيقته إذا
أمكن ، فإن صرف صارف حمل على المجاز ، ثم يتخرجون من
التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ويقولون : نحن أهل السنة ،
وكلامهم صريح في التشبيه .

وقد تبعهم خلق من العوام ، وقد نصحت التابع والمتبوع
فقلت لهم : يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل واتباع ، وإمامكم الأكبر

أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول وهو تحت السياط : كيف أقول ما لم يقل ^(١) . فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه مالميس منه ؛ ثم قلت في الأحاديث (تحمل على ظاهرها) فظاهر القدم الجارحة ، فإنه لما قيل في عيسى عليه الصلاة والسلام (روح الله) اعتقدت النصارى لعنهم الله تعالى أن لله سبحانه وتعالى صفة هي روح ولجت في مريم .

ومن قال استوى بذاته المقدسة فقد أجراه سبحانه وتعالى مجرى الحسيات ، وينبغي أن لا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل فإننا به عرفنا الله تعالى وحكمنا له بالقدم ، فلوا أنكم قلتم نقرأ الأحاديث ونسكت لما أنكر أحد عليهم ، إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح ^(٢) .

(١) ولما سئل الإمام أحمد عن أحاديث النزول والرؤية وضع القدم ونحوها قال : « نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى » ، وقال أيضاً يوم سألوه عن الاستواء : « استوى على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف » على ما ذكره الخلال في السنة بسنده إلى حنبل عن عمه الإمام أحمد ، وهذا تفويض وتنزيه كما هو مذهب السلف ، وربما أول في بعض المواضع كما حكى حنبل أيضاً عن الإمام أحمد أنه سمعه يقول : احتجاجوا على يوم المناظرة فقالوا : تجيء يوم القيامة سورة البقرة وتجيء سورة تبارك ، قال فقلت لهم : إنما هو الثواب قال الله جل ذكره « وجاء ربك والملك صفاً صفاً » وإنما تأتي قدرته . وقال ابن حزم الظاهري في فصله : وقد رويناه عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال : « وجاء ربك » إنما معناه : وجاء أمر ربك اهـ . وهذا تأويل وتنزيه كما هو مذهب الخلف ، وأما ما ينقل عن الإمام أحمد مما يخالف ما تقدم فهو تخرص صديق جاهل وسوء فهم لمذهب هذا الإمام . (ز)

(٢) يقول الأستاذ الشيخ محمد عبده رحمه الله فيما كتبه على العضدية عند الكلام على حديث افتراق الأمة : فإن قلت : إن كلام الله وكلام النبي ﷺ مؤلف من الألفاظ العربية ومدلولاتها معلومة لدى أهل اللغة فيجب الأخذ بحاق مدلول اللفظ كان ما كان . قلت : =

فلا تدخلوا فى مذهب هذا الرجل الصالح السلفى ما ليس منه فلقد كسيتم هذا المذهب شيئاً قبيحاً ، حتى صار لا يقال عن حنبلى إلا مجسم ، ثم زينتم مذهبكم أيضاً بالعصبية ليزيد بن معاوية وقد علمتم أن صاحب المذهب أجاز لعنته . وقد كان أبو محمد التميمى يقول فى بعض أئمتكم ^(١) . لقد شان المذهب شيئاً قبيحاً لا يغسل إلى يوم القيامة .

* * *

فصل : وقد وقع غلط المصنفين الذين ذكرتهم فى سبعة أوجه .

أولها أنهم سموا الأخبار أخبار صفات وإنما هى إضافات وليس كل مضاف صفة ، فإنه قال تعالى « ونفخت فيه من روحي » وليس لله صفة تسمى روحاً ، فقد ابتدع من سمى المضاف صفة .

والثانى أنهم قالوا هذه الأحاديث من المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله تعالى ، ثم قالوا نحملها على ظواهرها ، فواعجباً ما لا يعمله إلا الله تعالى أى ظاهر له ؛ وهل ظاهر الاستواء إلا القعود وظاهر

= حيث لم يكن ناجياً لإطائفة المجسمة الظاهريون القائلون بوجوب الأخذ بجميع النصوص وترك طريق الاستدلال رأساً ، مع أنه لا يخفى ما فى آراء هذه الطائفة من الاختلال ، مع سلوكهم طريقاً ليس يفيد اليقين بوجه ، فإن للتخاطبات مناسبات ترد بمطابقتها فلا سبيل إلا إلى الاستدلال وتأويل ما يبدى بظاهره نقصاً إلى ما يفيد الكمال ، وإذا صح التأويل للبرهان فى شىء صح فى بقية الأشياء حيث لا فرق بين برهان وبرهان ولا لفظ ولفظ . (ز)

(١) وهو القاضى أبو يعلى المتقدم . (ز)

النزول إلا الانتقال ! .

والثالث أنهم أثبتوا لله سبحانه وتعالى صفات ، وصفات الحق جل جلاله لا تثبت إلا بما تثبت به الذات من الأدلة القطعية .

والرابع أنهم لم يفرقوا في الإثبات بين خبر مشهور كقوله ﷺ « ينزل تعالى إلى سماء الدنيا » وبين حديث لا يصح كقوله « رأيت ربي في أحسن صورة » بل أثبتوا بهذا صفة وبهذا صفة .

والخامس أنهم لم يفرقوا بين حديث مرفوع إلى النبي ﷺ وبين حديث موقوف على صحابي أو تابعي ، فأثبتوا بهذا ما أثبتوا بهذا .

والسادس أنهم تأولوا بعض الألفاظ في موضع ولم يتأولوها في موضع كقوله « ومن أتاني يمشيأتيته هرولة » قالوا ضرب مثلاً للإنعام .

والسابع أنهم حملوا الأحاديث على مقتضى الحس فقالوا : ينزل بذاته وينتقل ويتحول ، ثم قالوا : لا كما نعقل ، فغالطوا من يسمع وكابروا الحس والعقل فحملوا الأحاديث على الحسيات .

فرايت الرد عليهم لازماً لئلا ينسب الإمام أحمد رحمه الله إلى ذلك ، وإذا سكت نسبتي إلى اعتقادي ذلك ولا يهولني أمر يعظم في النفوس لأن العمل على الدليل وخصوصاً في معرفة الحق تعالى

لا يجوز فيها التقليد ، وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عن مسألة فأفتى فيها فقيل : هذا لا يقول به ابن المبارك فقال : ابن المبارك لم ينزل من السماء ، وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : استخرت الله تعالى في الرد على الإمام مالك رحمه الله .

ولما صنف هؤلاء الثلاثة كتباً ، وانفرد القاضي « أبو يعلى » فصنف الأحاديث ذكرتها على ترتيبه ، وقدمت عليها الآيات الشريفة التي وردت في ذلك .

باب ما جاء في القرآن العظيم من ذلك

قال الله سبحانه وتعالى ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ ^(١) . قال المفسرون : يبقى ربك ، وكذا قالوا في قوله تعالى ﴿ يريدون وجهه ﴾ أى يريدونه ، وقال الضحاك وأبو عبيدة ﴿ كل شئ هالك إلا وجهه ﴾ أى إلا هو .

وقد ذهب الذين أنكرنا عليهم إلى أن الوجه صفة يختص باسم زائد على الذات . فمن أين قالوا هذا وليس لهم دليل إلا ما عرفوه من الحسيات ، وذلك يوجب التبعض ، ولو كان كما قالوا كان المعنى أن ذاته تهلك إلا وجهه ، وقال ابن حامد : أثبتنا لله تعالى وجهاً ولا يجوز إثبات رأس . قال ولقد أقشعر بدنى من جراته على ذكر هذا ، فما أعوزه فى التشبيه غير الرأس .

ومنها قوله تعالى ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ ، ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ﴾ ^(٢) . أى بمرأى منا ، وإنما جمع لأن عادة الملك أن يقول أمرنا ونهينا .

(١) قال الزمخشري فى الكشف : ﴿ وجه ربك ﴾ ذاته ، والوجه يعبر به عن الجملة والذات ، ومساكين مكة يقولون : أين وجه عربى كريم ينقذنى من الهوان .

(٢) يقول الزمخشري : ﴿ بأعيننا ﴾ فى موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظاً وحقيقته ملتبساً بأعيننا كأن الله معه أعيناً تكلؤه أن يزيغ فى صنعته عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه . هـ ويقول الرازى فى أساس التقديس عند الكلام على العين : لا بد من المصير إلى التأويل وذلك هو أن يحمل هذه الألفاظ على شدة العناية والحراسة ، والوجه فى حسن هذا المجاز أن من عظمت عنايته بشئ وميله إليه ورغبته فيه كان كثير النظر إليه فجعل لفظ العين التى هى آلة لذلك النظر كناية عن شدة العناية .

وقد ذهب القاضى (أبو يعلى) إلى أن العين صفة زائدة على الذات وقد سبقه أبو بكر بن خزيمة ^(١) . فقال فى الآية : لربنا عيان ينظر بهما ، وقال ابن حامد : يجب الإيمان أن له عينين .

وهذا ابتداع لا دليل لهم عليه ، وإنما أثبوا عينين من دليل الخطاب فى قوله ﷺ (ليس بأعور) ^(٢) وإنما أريد نفى النقص عنه تعالى ، ومتى ثبت أنه لا يتجزأ لم يكن لما يتخايل من الصفات وجه . ومنها قوله تعالى ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ ^(٣) اليد فى اللغة

(١) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابورى توفى عام أحد عشر وثلاثمائة ، يعد فى أكابر المحدثين ، كان يورع نفسه عن الخوض فى مسائل الكلام وينهى أصحابه عنه ، ثم اضطره بعض أهل النظر إلى الدخول فى هذه المأزم فزلت قدمه وخرج إلى وجوه غير معقولة سامحه الله . (ز)

(٢) طالع الحديث الخمسين الآتى ترى مزيد تفصيل عن هذا الخبر .

(٣) يقول الزمخشري : أن ذا اليمين يباشر أكثر أعماله يديه ، فغلب العمل باليمين على سائر الأعمال التى تباشر بغيرهما ، حتى قيل فى عمل القلب : هو مما عملت يداك ، وحتى قيل لمن لا يدي له : يداك أوكتا وفوك نفخ ، وحتى لم يبق فرق بين قولك : هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك . هـ وقال الراغب الأصبهاني فى مفرداته : قوله تعالى ﴿ مما عملت أيدينا ﴾ وقوله ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ عبارة عن توليه لخلقه باختراعه الذى ليس إلا له عز وجل ، وخص لفظ اليد ليتصور لنا المعنى إذ هو أجل الجوارح التى يتولى بها الفعل فيما بيننا ليتصور لنا اختصاص المعنى لا لتصور منه تشبيها ، وقيل معناه بنعمتى التى رشحتها لهم ، والباء فيه ليس كالباء فى قولهم : قطعته بالسكين بل هو كقولهم : خرج بسيفه أى معه سيفه ، معناه خلقته ومعه نعمتاى الدينوية والأخروية اللتان إذا رعاهما بلغ بهما السعادة الكبرى .

وقال العلامة الشيخ جمال الدين القاسمى فى تفسيره محاسن التأويل : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ أى بنفسى من غير توسط كآب وأم .

بمعنى النعمة والإحسان ، ومعنى قول اليهود لعنهم الله تعالى : ﴿ يد الله مغلولة ﴾ أى محبوسة عن النفقة ؛ واليد القوة يقولون : له بهذا الأمر يد .

وقوله ﴿ بل يدها مبسوطتان ﴾ أى نعمته وقدرته ^(١) . وقوله ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ أى بقدرتى ونعمتى وقال الحسن : (يد الله فوق أيديهم) أى منته وإحسانه ، هذا كلام المحققين .

وقال القاضى (أبو يعلى) اليدان صفتان ذاتيتان تسميان باليدين . وهذا تصرف بالرأى لا دليل عليه ، وقال لو لم يكن لآدم عليه الصلاة والسلام مزية على سائر الحيوانات بخلقه باليد التى هى صفة لما عظمه بذكرها وأجله فقال (بيدي) ولو كانت القدرة لما كانت له مزية ، ولو كانت القدرة لم تثن .

قلنا بلى قالت العرب ليس لى بهذا الأمر يدان أى ليس لى به قدرة ، قال عروة بن حزام :

فقالا شفاك الله والله مالنا بما ضمنت منك الضلوع يدان

وقولهم : ميزه بذلك عن الحيوان فقد قال تعالى ﴿ خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما ﴾ ولم يدل على تمييز الأنعام على بقية

(١) فى أساس التقديس لمحدد القرن السادس الفخر الرازى : والسبب فى حسن هذا المجاز أن كمال حال هذا العضو إنما يظهر بالصفة المسماة بالقدرة فلما كان المقصود من اليد حصول القدرة أطلق اسم القدرة على اليد ، ولأن آلة إعطاء النعمة اليد فإطلاق اسم اليد على النعمة إطلاق لاسم السبب على المسبب .

الحيوان .

قال تعالى ﴿ والسماء بنيناها بأيد ﴾ أى بقوة ثم قد أخبر أنه قد نفخ فيه من روحه ولم يرد الوضع بالفعل والتكوين ، والمعنى نفخت أنا ، ويكفى شرف الإضافة إذ لا يليق بالخالق جل جلاله سوى ذلك لأنه لا يحتاج أن يفعل بواسطة ، ولا له أعضاء وجوارح يفعل بها لأنه تعالى الغنى بذاته ؛ فلا ينبغي أن يتشاغل بطلب تعظيم آدم عليه الصلاة والسلام مع الغفلة عما يستحقه البارئ سبحانه من التعظيم بنفى الأبعاد والآلات فى الأفعال ، لأن هذه الأشياء صفة الأجسام .

وقد ظن بعض الثلاثة أن الله تعالى يمسّ حتى توهموا أنه مس طينة آدم بيد هي بعض ذاته ، وما فطنوا أن من جملة مخلوقاته جسماً يقابل جسماً فيتحد به ويفعل فيه ، أفتراه سبحانه وتعالى جعل أفعال الأشخاص والأجسام تتعدى إلى أجسام بعيدة ثم يحتاج هو فى أفعاله إلى معانة الطين ؟ وقد ردّ قول من قال هذا بقوله تعالى ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ .

ومنها قوله تعالى ﴿ ويحذرکم الله نفسه ﴾ وقوله تعالى ﴿ تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ﴾ قال المفسرون ، ويحذرکم الله إياه ، وقالوا : تعلم ما عندى ولا أعلم ما عندك ، وقال

المحققون : المراد بالنفس ها هنا الذات ، ونفس الشيء ذاته .

وقد ذهب القاضى (أبو يعلى) إلى أن الله تعالى نفساً وهى صفة زائدة على ذاته ، وهذا قول لا يستند إلا إلى التشبيه لأنه يوجب أن الذات شىء والنفس غيرها .

ومنها قوله تعالى ﴿ ليس كمثله شىء ﴾ ^(١) . ظاهر الكلام أن له مثلاً فليس كمثله شىء وليس كذلك ، إنما معناه عند أهل اللغة أن يقام المثل مقام الشىء نفسه يقول الرجل مثلى لا يكلم مثلك ، وإنما المعنى ليس كهو شىء .

ومنها قوله تعالى ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ ^(٢) . قال جمهور

(١) يقول الزمخشري فى الكشف : قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة فى ذلك فسلكوا به طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عن مسدده وعن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره : قولك للعربى العرب لا تخفر الدم كان أبلغ من قولك : أنت لا تخفر ومنه قولهم : قد أيفعت لدائه وبلغت أترابه يريدون إيفاعه وبلوغه اهـ .

وقال الراغب : أن النذ يقال فيما يشارك فى الجوهر فقط والشبه يقال فيما يشارك فى الكيفية فقط والمساوى يقال فيما يشارك فى الكمية فقط والشكل يقال فيما يشاركه فى القدر والمساحة فقط والمثل عام فى جميع ذلك ولهذا لما أراد الله نفى التشبيه من كل وجه خصه بالذكر فقال ﴿ ليس كمثله شىء ﴾ وأما الجمع بين الكاف والمثل فقد قيل ذلك لتأكيد النفى تنبيهاً على أنه لا يصح استعمال المثل ولا الكاف فنفى بليس الأمرين جميعاً وقيل المثل ها هنا بمعنى الصفة ومعناه : ليس كصفته صفة تنبيهاً على أنه وإن وصف بكثير مما يوصف به البشر فليس تلك الصفاته له على حسب ما يستعمل فى البشر .

(٢) وما قاله الرازى فى تفسير هذه الآية : يوم يكشف عن ساق جهنم أو عن ساق العرش أو عن ساق ملك مهيب عظيم واللفظ لا يدل إلا على ساق فأما إن ذلك الساق ساق أى شىء هو فليس فى اللفظ ما يدل عليه .

العلماء : يكشف عن شدة وأنشدوا : وقامت الحرب على ساق ^(١) .
وقال آخر : وإن شمريت عن ساقها الحرب شمرا ، قال ابن قتيبة :
وأصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناة الجدِّ
فيه شمر عن ساقه فاستعيرت الساق في موضع الشدة وهذا قول
الفراء وأبى عبيدة وثعلب واللغويين ، وروى البخارى ومسلم فى
الصحيحين عن النبى ﷺ « أن الله عز وجل يكشف عن ساقه » ^(٢) .
وهذه إضافة إليه معناها يكشف عن شدته وأفعاله المضافة إليه
ومعنى يكشف عنها يزيلها ، وقال عاصم بن كليب رأيت سعيد بن

= وفى محاسن التأويل للعلامة الجمال القاسمى رحمه الله : وقال أبو سعيد الضيرى : أى يوم
يكشف عن أصل الأمر ، وساق الشيء أصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الإنسان ،
أى تظهر يوم القيامة حقائق الأشياء وأصولها فالساق بمعنى أصل الأمر وحقيقته استعارة
من ساق الشجر .

(١) قال البيهقى فى كتابه (الأسماء والصفات) عند الاستشهاد بهذا الكلام من الشعر : عن
ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى « يوم يكشف عن ساق » فقال : إذا خفى عليكم شيء
من القرآن فابتغوه من الشعر فإنه ديوان العرب .

(٢) فى صحيح البخارى : ثنا آدم ثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن زيد
ابن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد قال سمعت النبى ﷺ يقول : (يكشف ربنا
عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة) الحديث وقال الحافظ ابن حجر : ووقع فى هذا
الموضع (يكشف ربنا عن ساقه) وهو من روايه سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم
فأخرجها الإسماعيلي كذلك ثم قال : فى قوله عن ساقه نكرة ، ثم أخرجه من طريق
حفص بن ميسرة بن زيد بن أسلم بلفظ « يكشف عن ساق » قال الإسماعيلي هذه أصح
لموافقتها لفظ القرآن فى الجملة اهـ .

وقد أخذ ابن شاقلاً على البخارى إخراج حديث الساق فى صحيحه لأنه من رواية ابن أبى
هلال ويراه ليس من شرطه لضعفه . وقال ابن حزم أيضاً : ابن أبى هلال ليس بالقوى قد
ذكره بالتخليط يحيى وأحمد بن حنبل . (ز)

جَبِير غَضِبَ وَقَالَ : يَقُولُونَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ أَمْرٍ شَدِيدٍ .

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو عَمْرِو الزَّاهِدُ : أَنَّ السَّاقَ بِمَعْنَى النَّفْسِ قَالَ وَمِنْهُ قَوْلُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا قَالَتِ الشَّرَاءُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى فَقَالَ : لَا بَدَّ مِنْ مُحَارَبَتِهِمْ وَلَوْ تَلَفْتَ سَاقِي ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمَعْنَى يَتَجَلَّى لَهُمْ . وَفِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « يَكْشِفُ لَهُمُ الْحِجَابَ فَيَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَخِرُونَ لِلَّهِ سَجْدًا وَيَبْقَى أَقْوَامٌ فِي ظُهُورِهِمْ مِثْلُ صِيَاصِي الْبَقَرِ يَرِيدُونَ السُّجُودَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ » .

وَقَدْ ذَهَبَ الْقَاضِي (أَبُو يَعْلَى) إِلَى أَنَّ السَّاقَ صِفَةُ ذَاتِيَّةٍ وَقَالَ : مِثْلُهُ يَضَعُ قَدَمَهُ فِي النَّارِ وَحَكَى عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ الْيَمْنَى فَتَضِيءُ مِنْ نَوْرِ سَاقِهِ الْأَرْضُ ، قُلْتُ وَذَكَرَهُ السَّاقُ مَعَ الْقَدَمِ تَشْبِيهِ مَحْضٍ ، وَمَا ذَكَرَهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مُحَالٌ وَلَا يَثْبُتُ لِلَّهِ تَعَالَى صِفَةُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْخَرَافَاتِ ، وَلَا تُوصَفُ ذَاتُهُ بِنُورٍ شِعَاعِي تَضِيءُ بِهِ الْأَرْضُ ، وَاحْتِجَاجُهُ بِالْإِضَافَةِ لَيْسَ بِشَيْءٍ لِأَنَّهُ إِذَا كُشِفَ عَنْ شِدَّتِهِ فَقَدْ كُشِفَ عَنْ سَاقِهِ ، وَهَؤُلَاءِ وَقَعَ لَهُمْ أَنَّ مَعْنَى يَكْشِفُ يَظْهَرُ وَإِنَّمَا الْمَعْنَى يَزِيلُ وَيَرْفَعُ .

وَقَالَ ابْنُ حَامِدٍ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِأَنَّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَاقًا صِفَةً لِدَاثِهِ فَمَنْ جَدَّ ذَلِكَ كَفَرَ . قُلْتُ لَوْ تَكَلَّمَ بِهَذَا عَامِي

جلف كان قبيحاً فكيف من ينسب إلى العلم فإن المتأولين أعذر منهم لأنهم يردون الأمر إلى اللغة وهؤلاء أثبتوا ساقاً للذات وقدموا حتى يتحقق التجسيم والصورة .

ومنها قوله تعالى ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ ^(١) . قال الخليل ابن أحمد : العرش السرير وكل سرير لملك يسمى عرشاً ، والعرش

(١) يقول الآلوسی فی تفسیره : والناس فی الکلام علی هذه الآية ونحوها مختلفون ، فمنهم من فسر العرش بالمعنى المشهور وفسر الاستواء بالاستقرار وروى ذلك عن الكلبي ومقاتل ورواه البيهقي في (الأسماء والصفات) بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها ، وما روى عن مالك رضى الله عنه أنه سئل كيف استوى فأطرق رأسه ملياً حتى علتة الرخصاء ثم رفع رأسه فقال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ثم قال للسائل : وما أظنك إلا ضالاً ثم أمر به فأخرج ليس نصاً في هذا المذهب لاحتمال أن يكون المراد من قوله : (غير مجهول) أنه ثابت معلوم الثبوت لا أن معناه الاستقرار وهو غير مجهول . وقال في موضع آخر : وإلى نحو هذا ذهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال في بعض فتاويه : طريقة التأويل بشرطه وهو قرب التأويل أقرب إلى الحق لأن الله تعالى إنما خاطب العرب بما يعرفونه ، وقد نصب الأدلة على مراده من آيات كتابه لأنه سبحانه قال : ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ ولنسين للناس ما نزل إليهم ، وهذا عام في جميع آيات القرآن فمن وقف على الدليل أفهمه الله مراده من كتابه وهو أكمل ممن لم يقف على ذلك إذ لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون اهـ . وفيه توسط في المسألة ، وقد توسط ابن الهمام في (المسائرة) وقد بلغ رتبة الاجتاد كما قال عصرنا ابن عابدين الشامي في (رد المحتار) توسطاً أخص من هذا التوسط فذكر ما حاصله : وجوب الإيمان بأنه تعالى استوى على العرش مع نفي التشبيه ، وأما كون المراد استولى فأمر جائز الإرادة لا واجبها إذ لا دليل عليه ، وإذا خيف على العامة عدم فهم الاستواء إذا لم يكن بمعنى الاستيلاء إلا بالاتصال ونحوه من لوازم الجسمية فلا بأس بصرف فهمهم إلى الاستيلاء فإنه قد ثبت إطلاقه عليه لغة في قوله :

فلما علونا واستويتنا عليهم جعلناهم مرعى لنسر وطائر
وقوله : قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق (ز)

مشهور عند العرب فى الجاهلية والإسلام ، قال تعالى ﴿ ورفع أبويه على العرش ﴾ وقال تعالى ﴿ أيكم يأتينى بعرشها ﴾ ، اعلم أن الاستواء فى اللغة على وجوه : منها الاعتدال قال بعض بنى تميم : « فاستوى ظالم العشيرة والمظلوم » أى اعتدلا ، والاستواء تمام الشئ قال الله تعالى ﴿ ولما بلغ أشده واستوى ﴾ ، والاستواء القصد إلى الشئ قال الله تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ أى قصد خلقها والاستواء الاستيلاء على الشئ قال الشاعر :

إذا ما غزا قوماً أباح حريمهم وأضحى على ما ملكوه قد استوى
وروى إسماعيل بن أبى خالد الطائى قال : العرش ياقوته حمراء ، وجميع السلف على إيراد هذه الآية كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل .

وقد حمل قوم من المتأخرين هذه الصفة على مقتضى الحس فقالوا استوى على العرش بذاته . وهذه زيادة لم ينقلوها إنما فهموها من إحساسهم وهو أن المستوى على الشئ إنما يستوى عليه ذاته . قال ابن حامد الاستواء مماسة وصفة لذاته والمراد به القعود ^(١) .

(١) قال الجلال الدوانى فى شرح العضدية : وقد رأيت فى بعض تصانيف (ابن تيمية) القول به (أى بالقدم النوعى) فى العرش اهـ وقال الشيخ محمد عبده فيما علقه عليه : وذلك أن ابن تيمية كان من الحنابلة الآخذين بظواهر الآيات والأحاديث القائلة بأن الله استوى على العرش جلوساً ، فلما أورد عليه أنه يلزم أن يكون العرش أزلياً لما أن الله أزلى فمكانه أزلى ، وأزلية العرش خلاف مذهبه قال إنه قديم بالنوع أى أن الله لا يزال يعدم عرشاً ويحدث آخر من الأزلى إلى الأبد حتى يكون له الاستواء أزلاً وأبداً ولننظر أين يكون الله بين =

قال وقد ذهبت طائفة من أصحابنا إلى أن الله تعالى على عرشه ما ملأه وأنه يُقعد نبيه معه على العرش وقال والنزول انتقال .

وعلى ما حكى تكون ذاته أصغر من العرش ، فالعجب من قول هذا ما نحن مجسمة .

وقيل لابن الزاغوني : هل تجددت له صفة لم تكن بعد خلق العرش ؟ قال : لا ، إنما خلق العالم بصفة التحت فصار العالم بالإضافة إليه أسفل ، فإذا ثبتت لإحدى الذاتين صفة التحت ثبت للآخر استحقاق صفة الفوق ، قال : وقد ثبت أن الأماكن ليست فى ذاته ولا ذاته فيها فثبت انفصاله عنها ولا بد من بدء يحصل به الفصل فلما قال (استوى) علمنا اختصاصه بتلك الجهة ، قال ولا بد أن يكون لذاته نهاية وغاية يعلمها .

قلت : هذا رجل لا يدري ما يقول ، لأنه إذا قدر غاية وفصلاً بين الخالق والمخلوق فقد حدده وأقر بأنه جسم ، وهو يقول فى كتابه : إنه ليس بجوهر لأن الجوهر ما تحيز ، ثم يثبت له مكاناً يتحيز فيه ، قلت : وهذا كلام جهل من قائله وتشبيه محض ، فما عرف هذا الشيخ ما يجب للخالق تعالى وما يستحيل عليه .

= الإعدام والإيجاد هل يزول عن الاستواء فليقل به أولاً ، فسبحان الله ما أجهل الإنسان وما أشنع ما يرضى لنفسه ، ولست أعرف هل قال ابن تيمية بشيء من ذلك على التحقيق ، وكثيراً ما نقل عنه ما لم يقله اهـ . (ز)

فإن وجوده تعالى ليس كوجود الجواهر والأجسام التى لا بد لها من حيز ، والتحت وال فوق إنما يكون فيما يقابل ويحاذى ، ومن ضرورة المحاذى أن يكون أكبر من المحاذى أو أصغر أو مثله ، وأن هذا ومثله إنما يكون فى الأجسام ، وكل ما يحاذى الأجسام يجوز أن يمسها ، وما جاز عليه مماسة الأجسام ومباينتها فهو حادث ، إذ قد ثبت أن الدليل على حدوث الجواهر قبولها المماسمة والمباينة ، فإن أجازوا هذا عليه قالوا بجواز حدثه ، وإن منعوا جواز هذا عليه لم يبق لنا طريق لإثبات حدث الجواهر ، ومتى قدرنا مستغنياً عن المحل والحيز ومحتاجاً إلى الحيز ثم قلنا : إما أن يكونا متجاورين أو متباينين كان ذلك محالاً فإن التجاور والتباين من لوازم التحيز فى المتحيزات .

وقد ثبت أن الاجتماع والافتراق من لوازم التحيز ، والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالتحيز لأنه لو كان متحيزاً لم يخل إما أن يكون ساكناً فى حيزه أو متحركاً عنه ، ولا يجوز أن يوصف بحركة ولا سكون ولا اجتماع ولا افتراق ، ومن جاور أو باين فقد تنهى ذاتاً ، والتناهى إذا اختص بمقدار استدعى مخصصاً ، وكذا ينبغى أن يقال ليس بداخل فى العالم وليس بخارج منه لأن الدخول والخروج من لوازم المتحيزات ، فهما كالحركة والسكون وسائر الأعراض التى تحس بالأجرام .

وأما قولهم: «خلق الأماكن لا في ذاته فثبت انفصاله عنها» قلنا ذاته المقدسة لا تقبل أن يخلق فيها شيء ولا أن يحل فيها شيء ، وقد حملهم الحس على التشبيه والتخليط حتى قال بعضهم : إنما ذكر الاستواء على العرش لأنه أقرب الموجودات إليه ، وهذا جهل أيضاً لأن قرب المسافة لا يتصور إلا في جسم ، ويعز علينا كيف ينسب هذا القائل إلى مذهبنا .

واحتج بعضهم بأنه على العرش بقوله تعالى ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ وبقوله تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ وجعلوا ذلك فوقية حسية ، ونسوا أن الفوقية الحسية إما أن تكون لجسم أو جوهر ، وأن الفوقية قد تطلق لعلو المرتبة فيقال : فلان فوق فلان ^(١) . ثم إنه كما قال تعالى فوق عباده قال تعالى ﴿وهو معكم﴾ فمن حملها على العلم حمل خصمه الاستواء على القهر ^(٢) .

وذهبت طائفة إلى أن الله تعالى على عرشه قد ملأه ،

(١) في التفسير الكبير للفخر الرازي : العالم كرة وإذا كان الأمر كذلك امتنع أن يكون إله العالم حاصلاً في جهة فوق ، إذا فرضنا إنسانين وقف أحدهما على نقطة المشرق والآخر على نقطة المغرب صار أحدهما قديماً متقابلين ، والذي هو فوق بالنسبة لأحدهما يكون تحت بالنسبة إلى الثاني ، وكونه تعالى تحت أهل الدنيا محال بالاتفاق فوجب أن لا يكون في حيز معين . (ز)

(٢) يقول الفخر الرازي في أساس التقديس : إن ظاهر قوله تعالى ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ وقوله ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ وقوله ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ ينفي كونه مستقراً على العرش ، وليس تأويل هذه الآيات لتبقى الآيات التي تمسكوا بها على ظاهرها أولى من العكس اهـ . (ز)

والأشبه أنه مماس للعرش ، والكرسى موضع قدميه . قلت المماسه إنما تقع بين جسمين ، وما أبقى هذا فى التجسيم بقية .

* * *

فصل : فإن قيل فقد أخرج فى الصحيحين من حديث شريك بن أبى نمر عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه ذكر المعراج فقال فيه : فعلاً به إلى الجبار تعالى فقال وهو فى مكانه « يا رب خفف عنا » .

الجواب : أن أبا سليمان الخطابى قال هذه لفظة لفرد بها شريك ولم يذكرها غيره وهو كثير التفرد بمناكير الألفاظ والمكان لا يضاف إلى الله تعالى إنما هو مكان النبى ﷺ ومقامه الأول الذى أقيم فيه وفى هذا الحديث - فاستأذنت على ربي وهو فى داره - يوهم مكاناً وإنما المعنى فى داره التى دورها لأوليائه ^(١) ؛ وقد قال القاضى (أبو يعلى) فى كتابه المعتمد : إن الله عز وجل لا يوصف بالمكان .

ومن الآيات قوله تعالى ﴿ ءَأَمْنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ ^(٢) . قد

(١) زاد البيهقى فى كتابه الأسماء والصفات : (وهى الجنة) .

(٢) قال الفخر الرازى فى تفسير هذه الآية : أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين لأن كونه فى السماء يقتضى كون السماء محيطاً به من جميع الجوانب فيكون أصغر من السماء والسماء أصغر من العرش بكثير فيلزم أن يكون الله تعالى شيئاً حقيراً بالنسبة إلى العرش ، وذلك باتفاق أهل الإسلام محال . وقال الزمخشري ووافقه الفخر : (من فى السماء) فيه وجهان أحدهما من ملكوته فى السماء لأنها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه ، والثانى أنهم كانوا =

ثبت قطعاً أن الآيه ليست على ظاهرها لأن لفظة (فى) للظرفية ،
والحق سبحانه وتعالى غير مظروف وإذا منع الحس أن ينصرف إلى
مثل هذا بقى وصف العظيم بما هو عظيم عند الخلق .

ومنها قوله تعالى ﴿ يا حسرتى على ما فرطت فى جنب
الله ﴾ ^(١) . أى فى طاعته وأمره لأن التفريط لا يقع إلا فى ذاته وأما
الجنب المعهود من ذى الجوارح فلا يقع فيه تفريط .

وقال ابن حامد نؤمن بأن لله سبحانه وتعالى جنباً بهذه
الآية .

= يعتقدون التشبيه وأنه فى السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها
فقيل لهم على حسب اعتقادهم : أأنتم من تزعمون أنه فى السماء وهو متعال عن المكان
أن يعذبكم بخسف أو بحاصب كما تقول لبعض المشبهة : أما تخاف من فوق العرش أن
يعاقبك بما تفعل إذا رأيته يركب بعض المعاصى ، وقال الرازى أيضاً : والغرض من ذكر
السماء تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته كما قال ﴿ وهو الله فى السموات وفى الأرض ﴾
فإن الشئ الواحد لا يكون دفعة واحدة فى مكانين ، وقال أيضاً : لم لا يجوز أن يكون
المراد بقوله (من فى السماء) هو الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل عليه السلام . (ز)
(١) يقول الزمخشري فى كشفه : والجنب الجانب ، يقال : أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته
وفلان لين الجانب والجانب ، ثم قالوا : فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه ، قال
سابق البربرى :

أما تتقين الله فى جنب وامق له كيد حرى عليك تقطع

وقال السيد محمود الآلوسى فى تفسيره (روح المعانى) : وبالجمله لا يمكن إبقاء الكلام
على حقيقته لتنزهه عز وجل من الجنب بالمعنى الحقيقى ، ولم أقف على عد أحد من
السلف إياه من الصفات السمعية ، ولا أعول على ما فى المواقف ، وعلى فرض العد
كلامهم فيها شهير وكلهم مجمعون على التنزيه وسبحان من ليس كمثله شئ وهو
السميع البصير ، وفى حرف عبد الله وحفصة (فى ذكر الله) . هـ وقال العلامة القاسمى
فى تفسيرها : أى فى جانب أمره ونهيه إذ لم أتبع أحسن ما أنزل .

فواعجباً من عدم العقول ، إذا لم يتهياً التفريط فى جنب مخلوق فكيف يتهياً فى صفة الخالق جل جلاله ، وأنشد ثعلبة :
« خليلي كفا واذكرا الله فى جنبى » أى فى أمرى .

ومنها قوله تعالى ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾ ^(١) . قال المفسرون أى من رحمتنا وإنما نسب الروح إليه لأنه بأمره كان .
ومنها قوله تعالى ﴿ يؤذن الله ﴾ ^(٢) . أى يؤذن أولياءه
كقوله تعالى ﴿ واسئل القرية ﴾ أى أهلها وقال عليه السلام - أحد جبل يحبنا ونحبه - وقال الشاعر :

أنبت أن النار بعدل أوقدت واستبَّ بعدك يا كليب المجلس

ومنها قوله تعالى ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام ﴾ ^(٣) . أى بظلل وكذلك قوله تعالى ﴿ وجاء ربك ﴾ ذكر

(١) قال الشهاب الألوسى : ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ تمثيل لإفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها فليس ثمة نفخ ولا منفوخ ، أى فإذا أكملت استعدادده وأفضت عليه ما يحيى به من الروح الظاهرة التى هى أمرى .

(٢) قال الألوسى ﴿ إن الذين يؤذن الله ورسوله ﴾ أريد بالإيذاء إما ارتكاب ما لا يرضيانه من الكفر وكبائر المعاصى مجازاً لأنه سبب أو لازم له ، وإن كان ذلك بالنظر إليه تعالى بالنسبة إلى غيره سبحانه فإنه كاف فى العلاقة ، وقيل فى إيذائه تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين : يد الله مغلوله ، والمسيح ابن الله ، والملائكة بنات الله ، والأصنام شركاؤه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(٣) وما قاله جار الله الزمخشري : ويجوز أن يكون المأتى به محذوفاً بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله (فإن الله عزيز) ، فإن قلت : لم يأتيهم العذاب فى الغمام ؟ قلت : لأن الغمام مظنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أقطع وأهول لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب =

القاضى (أبو يعلى) عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال فى قوله تعالى ﴿ أن يأتىهم الله ﴾ قال المراد به قدرته وأمره قال وقد بينه فى قوله تعالى ﴿ أو يأتى أمر ربك ﴾ ومثل هذا فى التوراة « وجاء ربك » قال إنما هى قدرته .

قال ابن حامد وهذا خطأ إنما ينزل بذاته بانتقال . قلت وهذا كلام فى ذات الله تعالى بمقتضى الحس كما يتكلم فى الأجسام .

= كان أغم كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسرّ ، فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ، ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفطع لجيئتها من حيث يتوقع الغيث ، ومن ثمة اشتد على المتفكرين فى كتاب الله قوله تعالى ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ ١ هـ وساق الفخر الرازى فى هذا المعنى فصلا مشبعاً - شأنه فى تفسير آيات الصفات - إلى أن قال : إن قوله ﴿ يأتىهم الله ﴾ وقوله ﴿ وجاء ربك ﴾ إخبار عن حال القيامة ، ثم ذكر هذه الواقعة بعينها فى سورة النحل فقال ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتئهم الملائكة أو يأتى أمر ربك ﴾ فصار هذا المحكم مفسرا لذلك المتشابه لأن كل هذه الآيات لما وردت فى واقعة واحدة لم يبعد حمل بعضها على بعض ، وقال تعالى بعده ﴿ وقضى الأمر ﴾ ولا شك أن الألف واللام للمعهود السابق فلا بد وأن يكون قد جرى ذكر أمر قبل ذلك حتى تكون الألف واللام إشارة إليه وما ذاك إلا الذى أضمرناه من أن قوله ﴿ يأتىهم الله ﴾ أى يأتىهم أمر الله ، وأنهى كلامه بقوله : والذى هو أوضح عندى من كل ما سلف أنا ذكرنا أن قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ﴾ إنما نزلت فى حق اليهود ، وعلى هذا التقدير فقوله ﴿ فإن زلتم من بعد ما جاءكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم ﴾ يكون خطاباً مع اليهود ، وحينئذ يكون قوله تعالى ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتىهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ﴾ ، حكاية عن اليهود ، والمعنى أنهم لا يقبلون دينك إلا أن يأتىهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ، ألا ترى أنهم فعلوا مع موسى مثل ذلك فقالوا ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ ، وإذا كان هذا حكاية عن حال اليهود لم يمنع إجراء الآية على ظاهرها ، وذلك لأن اليهود كانوا على مذهب التشبيه وكانوا يجوزون على الله الجمع والذهاب ، وكانوا يقولون : إنه تعالى تجلّى لموسى عليه السلام على الطور فى ظلل من الغمام وطلبوا مثل ذلك فى زمن محمد عليه الصلاة والسلام .

قال ابن عقيل فى قوله تعالى ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾
قال من كف خلقه عن السؤال عن مخلوق فكفهم عن الخالق وصفاته
أولى وأنشدوا :

كيفية النفس ليس المرء يدركها فكيف كيفية الجبار فى القدم

* * *

باب ذكر الأحاديث التي سموها أخبار الصفات

اعلم أن فى الأحاديث دقائق وآفات لا يعرفها إلا العلماء
الفقهاء ، تارة فى نقلها وتارة فى كشف معناها وسنوضح ذلك إن شاء
الله تعالى :

(الحديث الأول) : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين
من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ - خلق
الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام على صورته - ^(١) .

للناس فى هذا مذهبان : أحدهما السكوت عن تفسيره
والثانى الكلام فى معناه .

(١) يقول الراغب الأصفهاني : الصورة أراد بها ما خص الإنسان بها من الهيئة المدركة بالبصر
والبصيرة ، وبها فضله على كثير من خلقه ، وإضافته إلى الله سبحانه على سبيل الملك لا
على سبيل البعضية والتشبيه تعالى عن ذلك ، وذلك على سبيل التشريف له كقوله بيت
الله وناقة الله ونحو ذلك : ونفخت فيه من روحي .

واختلف أرباب هذا المذهب فى الهاء إلى من تعود على
ثلاثة أقوال :

أحدها : تعود إلى بعض بنى آدم قال وذلك أن النبى ﷺ مرَّ
برجل يضرب رجلاً وهو يقول : قبح الله وجهك ووجه من أشبه
وجهك فقال ﷺ (إذا ضرب أحدكم فليتنق الوجه فإن الله تعالى خلق
آدم على صورته) .

وإنما خصَّ آدم بالذكر لأنه هو الذى ابتدئت خلقه وجهه
على هذه الصورة التى احتذى عليها من بعده ، وكأنه نبه على أنك
سببت آدم وأنت من ولده ، وذلك مبالغة فى زجره ، فعلى هذا تكون
الهاء كناية عن المضروب ^(١) . ومن الخطأ الفاحش أن ترجع إلى (الله
عز وجل) لقوله : ووجه من أشبه وجهك فإنه إذا نسبته إليه سبحانه
كان تشبيهاً صريحاً .

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى
عنه عن النبى ﷺ أنه قال « إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله
تعالى خلق آدم على صورته » .

(١) مما أورده الرازى فى تأويل هذا الخبر قوله : إن المراد منه إبطال قول من يقول إن آدم كان على
صورة أخرى ، مثل ما يقال إنه كان عظيم الجثة طويل القامة بحيث يكون رأسه قريباً من
السماء فالنبى عليه السلام أشار إلى إنسان معين (وهو المضروب) وقال - إن الله خلق آدم
على صورته - أي كان شكل آدم مثل شكل هذا الإنسان من غير تفاوت البتة . (ز)

القول الثانى : أن الهاء كناية عن اسمين ظاهرين ، فلا يصلح أن تصرف إلى الله عز وجل ، لقيام الدليل أنه تعالى ليس بذى صورة ، فعادت إلى آدم .

ومعنى الحديث أن الله تعالى خلق آدم على صورته التى خلقه عليها تاماً ، لم ينقله من نطفة إلى علقة كبنيه ^(١) . هذا مذهب أبى سليمان الخطابى ، وقد ذكره ثعلب فى أماليه .

القول الثالث : أنها تعود إلى الله تعالى وفى معنى ذلك قولان : أحدهما أن تكون صورة ملك ، لأنها فعله وخلقها فتكون إضافتها إليه من وجهين : أحدهما التشريف بالإضافة كقوله تعالى « وطهر بيتى للطائفين » والثانى ابتدعها لا على مثال سبق . والقول الثانى أن تكون الصورة بمعنى الصفة تقول « هذا صورة هذا الأمر » أى صفته ، ويكون خلق آدم على صفته من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة ، فميزه بذلك عن جميع الحيوانات ، ثم ميزه على الملائكة بصفة التعالى حين أسجدهم له ، والصورة ها هنا معنوية لا صورة تخاطيط .

(١) ومن الوجوه التى سردها الفخر فى هذا المقام قوله : أنه تعالى لما عظم أمر آدم بجعله مسجود الملائكة ، ثم إنه أتى بتلك الزلة فالله تعالى لم يعاقبه بمثل ما عاقب به غيره فإن نقل أن الله تعالى أخرجه من الجنة وأخرج معه الحية والطاوس وغير تعالى خلقهما ، مع أنه لم يغير خلقه آدم بل تركه على الخلقة الأولى إكراماً له وصوناً له عن عذاب المسخ هـ .
وذهب البيهقى هذا المذهب . (ز)

وقد ذهب أبو محمد بن قتيبة ^(١) . فى هذا الحديث إلى مذهب قبيح فقال : « الله تعالى صورة لا كالصور فخلق آدم عليها » وهذا تخليط وتهافت ، لأن معنى كلامه أن صورة آدم كصورة الحق تعالى .

وقال القاضى (أبو يعلى) يطلق على الحق تعالى تسمية الصورة لا كالصور كما أطلقنا اسم ذاته .

وهذا تخليط لأن الذات بمعنى شىء ، وأما الصورة فهى هيئة وتخاطيط وتأليف ، ويفتقر إلى مصور ومؤلف .

وقول القائل « لا كالصور » نقض لما قاله ، وصار بمثابة من يقول « جسم لا كالأجسام » فإن الجسم ما كان مؤلفاً فإذا قال « لا كالأجسام » نقض ما قال .

* * *

(الحديث الثانى) : روى عبد الرحمن بن عياش عن النبى ﷺ أنه قال : رأيت ربى فى أحسن صورة فقال لى فيم يختصم الملائة الأعلى يا محمد ؟ قلت أنت أعلم يا رب فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين ثدىي فعلمت ما فى السموات والأرض .

(١) هو صاحب التصانيف أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة أحد أئمة الأدب ، إخبارى ، قليل الرواية ، قد يعتمد فى التشبيه على ما يرويه من كتب أهل الكتاب ، يتهم بالنصب ، كذبه الحاكم ووثقه غيره ، مات عام ست وسبعين ومائتين . (ز)

قال الإمام أحمد : أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة وقد روى من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : أتانى آت فى أحسن صورة فقال فيم يختصم الملائة الأعلى فقلت لا أدري فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين ثديي فعرفت كل شيء يسألنى عنه وروى من حديث ثوبان قال خرج علينا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح فقال : إن ربي أتانى الليلة فى أحسن صورة فقال لى : يا محمد فيم يختصم الملائة الأعلى ؟ قلت : لا أعلم يا رب ، فوضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله فى صدرى فتجلى لى ما بين السماء والأرض .

وهذه أحاديث مختلفة وأحسن طرقها يدل على أن ذلك كان فى النوم ورؤيا المنام وهم والأوهام لا تكون حقائق ^(١) . وأن الإنسان يرى كأنه يطير أو كأنه قد صار بهيمة وقد رأى أقوام فى منامهم الحق سبحانه على ما ذكرنا ، وإن قلنا إنه رآه فى اليقظة فالصورة إن قلنا ترجع إلى الله تعالى فالمعنى رأيت على أحسن صفاته من الإقبال على والرضا عني ، وإن قلنا : ترجع إلى رسول الله ﷺ فالمعنى رأيت وأنا على أحسن صورة ^(٢) . وروى ابن حامد من حديث ابن عباس

(١) يقول الحافظ ابن حجر فى مثل هذا المقام : ولا التفات إلى من تعقب كلامه بقوله : فى الحديث الصحيح (أن رؤيا الأنبياء رضى) فلا يحتاج إلى تفسير لأنه كلام من لم يمعن النظر فى هذا المحل ، فقد تقدم فى كتاب التفسير أن بعض رؤى الأنبياء يقبل التعبير اهـ . (ز)

(٢) بقى على المؤلف أن يتكلم على عجز الحديث ، ونحن ننقل عن (أساس التقديس للمفخر الرازى) ما بقى بالفرض : وأما قوله (وضع يده بين كتفى) ففى وجهان : الأول المراد =

رضى الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : لما أُسرى بى رأيت الرحمن تعالى فى صورة شاب أمرد له نور يتلألا وعن عن (١) . وصفه لكم فسألت ربى أن يكرمنى برؤيته وإذا كأنه عروس حين كشف عنه حجابهُ مستو على عرشه وهذا الحديث كذب قبيح ما روى قط لا فى صحيح ولا فى كذب فأبعد الله تعالى من عمله ، فقد كنا نقول ذاك منام فيذكر هذا ليلة الإسراء كافأهم الله عز وجل وجزاهم النار ، يشبهون الله سبحانه وتعالى بعروس ما كتب هذا مسلم ، وأما حديث البرد فى الحديث الماضى فإن البرد عرض لا يجوز أن ينسب إلى الله عز وجل .

وقد ذكر القاضى (أبو يعلى) فى كتابه الكناية (رأيت ربى فى أحسن صورة) أى فى أحسن موضع .

(الحديث الثالث) : روت أم الطفيل امرأة أبى أنها سمعت رسول الله ﷺ يذكر أنه رأى ربه عز وجل فى المنام فى أحسن صورة شاباً منوراً فى خضر ، فى رجليه نعلان من ذهب وعلى وجهه فراش من ذهب . هذا الحديث يرويه نعيم بن حماد قال ابن

= منه المبالغة فى الاهتمام بحاله والاعتناء بشأنه . الثانى أن يكون المراد من اليد النعمة ، وأما قوله (بين كتفى) فإن صح فالمراد منه أنه أوصل إلى قلبه من أنواع اللطف والرحمة ، وأما قوله (فوجدت بردها) فيحتمل أن المعنى برد النعمة وروحها وراحتها ، من قولهم : عيش بارد إذا كان رغداً ، والذي يدل على أن المراد منه كمال المعارف قوله عليه السلام فى آخر الحديث (فعلمت ما بين المشرق والمغرب) اهـ (ز)

(١) هكذا فى الأصل المحفوظ لدينا .

عدى كان يضع الحديث ، وسئل الإمام أحمد فأعرض بوجهه عنه وقال : حديثه منكر مجهول . وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال رأيت ربي جعداً أمرد عليه حلة خضراء . وهذا مروى . من طريق حماد بن سلمة وكان ابن أبي العوجاء الزنديق ربيب حماد ، وكان يدس في كتبه هذه الأحاديث لا ثبوت لها ولا يحسن أن يحتج بها .

وقد أثبت القاضي (أبو يعلى) صفات لله تعالى فقال قوله شاب وأمرد وجعد وقطط والفراش والنعلان والتاج ، قال ثبت ذلك تسمية لا نعقل معناها . ومن يثبت بالمنام وما صح نقله صفات ! وقد عرفنا معنى الشاب والأمرد ، ثم يقول « ما هو كما نعلم » كمن يقول قام فلان وما هو بقائم ، وقعد وما هو بقاعد ، قال ابن عقيل هذا الحديث نجزم بأنه كذب ثم لا تنفع ثقة الرواة إذا كان المتن مستحيلاً وصار هذا كما لو أخبرنا جماعة من المعدلين بأن جمل البزاز دخل في خرم إبرة الخياط فإنه لا حكم لصدق الرواة مع استحالة خبرهم .

* * *

(الحديث الرابع) : روى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : ليلة أُسرى بي رأيت كل شيء من ربي حتى رأيت تاجاً مخصوصاً من لؤلؤ هذا يرويه أبو القاسم محمد بن اليسع عن قاسم بن إبراهيم ، قال الأزهرى كنت أقعد مع ابن اليسع ساعة فيقول : قد ختمت الختمة منذ قعدت وقاسم ليس بشيء ، قال الدارقطني هو كذاب كافأ الله تعالى من عمل هذا .

(الحديث الخامس) : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال (يجمع الله الناس فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبعون ما كانوا يعبدون وتبقى هذه الأمة بمنافقيها فيأتيهم الله تعالى فى غير الصورة التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله تعالى منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم فى الصورة التى يعرفونها فيقول أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا) .

وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد عن النبى ﷺ أنه قال (فيأتيهم الجبار فى صورة غير صورته التى رآوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم ، فيقولون أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيقال هل بينكم وبينه آية تعرفونها فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن) ^(١) .

اعلم أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد أن الله سبحانه وتعالى لا يجوز عليه الصورة التى هى هيئة وتأليف ؛ قال أبو سليمان الخطابى معنى فيأتيهم الله تعالى أى يكشف الحجاب لهم حتى يرونه عياناً كما كانوا عرفوه فى الدنيا استدلالاً فرويته بعد أن لم يكونوا رآوه بمنزلة إتيان الآتى لم يكن شهود قبل .

وقال بعض العلماء يأتيهم بأهوال القيامة وصور

(١) لقدّم الكلام على هذا الحديث عند تفسير قوله تعالى « يوم يكشف عن ساق » .

الملائكة^(١) . ولم يعهدوا مثله فى الدنيا فيستعيزون من تلك الحال ويقول: إذا جاء ربنا عرفناه أى إذا أتانا نعرفه من لطفه وهى الصورة التى يعرفون فيكشف عن ساق أى عن شدة كأنه يرفع تلك الشدائد المهولة فيسجدون شكرا ؛ وقال بعضهم صورة يمتحنهم بها كما يبعث الدجال فيقولون نعوذ بالله تعالى منك . وفى حديث أبى موسى عن رسول الله ﷺ (أن الناس يقولون إن لنا رباً كنا نعبد فى الدنيا فيقال أو تعرفونه إذا رأيتموه فيقولون نعم ، فيقال: كيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون إنه لا شبيه له ، فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله عز وجل فيخرون سجداً) قال ابن عقيل : الصورة على الحقيقة تقع على التخاطيط والأشكال وذلك من صفات الأجسام ، والذى صرفنا عن كونه جسماً من الأدلة القطعية قوله تعالى ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ ومن الأدلة العقلية أنه لو كان جسماً كانت صورته عرضاً ولو كان حامل الأعراض جاز عليه ما يجوز على الأجسام وافتقر إلى صانع ولو كان جسماً مع قدمه جاز قدم أحدنا . فأحوجتنا الأدلة إلى تأويل صورة يليق إصافتها إليه وما ذلك إلا الحال الذى يوقع عليها أهل اللغة اسم صورة فيقولون كيف صورتك مع فلان ، وفلان على صورة من الفقر ؛ والحال التى أنكروها العسف والتى يعرفونها اللطف فيكشف

(١) باعتبار (فى) بمعنى الباء ، ونظيره قول ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام ﴾ أى بظل من الغمام على ما نقله الفخر الرازى فى كتابه (أساس التقديس) . (ز)

عن الشدة ، والتغير إنما يليق بفعله فأما ذاته فتعالت عن التغير ، نعوذ بالله أن يحمل الحديث على ما قالته المجسمة أن الصورة ترجع إلى ذاته وأن ذلك تجويز التغير على صفاته فخرجوه في صورة إن كانت حقيقة فذاك استحالة وإن كان تخيلاً فليس ذاك هو إنما يريهم غيره .

* * *

(الحديث السادس) : روى مسلم في صحيحه من حديث المغيرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا شخص أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ولا شخص أحب إليه المدحة من الله » .

لفظة « الشخص » يرونها بعض الرواة ويروى بعضهم « لا شيء أغير من الله » والرواة يروون بما يظنونونه المعنى ، وكذلك « شخص » من تغيير الرواة وقد يكون المعنى ليس منكم أيها الأشخاص أغير من الله لأنه لما اجتمع الكل بالذكر سمي بأسمائهم والشخص لا يكون إلا جسماً مؤلفاً ومثل هذا قول ابن مسعود : وما خلق من جنة ولا نار أعظم من آية الكرسي ؛ قال الإمام أحمد بن حنبل : الخلق يرجع إلى الجنة والنار لا إلى القرآن ويجوز أن يكون هذا من باب المستثنى من غير الجنس كقوله تعالى : ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ وأما المغيرة فقد قالت العلماء : كل من غار من شيء أسندت كراهته له ، فلما حرم الفواحش ووعد عليها وصفه رسول الله ﷺ بالمغيرة .

الحديث السابع : روى أبو موسى عن النبي ﷺ قال « إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض » (١) .

وإنما أضيفت القبضة لأن أفعال المملوك تنسب إلى المالك وذلك أنه بعث من قبض كقوله تعالى « فطمسنا أعينهم » وقد روى محمد بن سعد في كتاب الطبقات أن الله تعالى بعث إبليس فأخذ من أديم الأرض فخلق منه آدم فمن ثم قال « أأسجد لمن خلقت طينا » .

* * *

الحديث الثامن : روى سلمان قال إن الله لما خمر طينة آدم وضرب بيديه فيه فخرج كل طيب في يمينه وكل خبيث في يده الأخرى ثم خلط بينهما فمن ثم يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى .

وهذا مرسل ، وقد ثبت بالدليل أن الحق سبحانه وتعالى لا يوصف بمس شيء ، وإن صح فيضرب مثلاً لما جرت به الأقدار ، وقال القاضى (أبو يعلى) : تخمير الطين وخلط بعضه ببعض مضاف إلى اليد التى خلق بها آدم وهذا التشبيه المحض .

* * *

(١) يقول السيوطى فى الجامع الكبير : أخرجه أبو داود والترمذى وأحمد والحاكم والبيهقى فى السنن والطبرانى فى الكبير وابن سعد .

الحديث التاسع : روى عبيد بن حنين قال بينا أنا جالس فى المسجد إذ جاء قتادة بن النعمان فجلس فتحدث ، ثم قال انطلق بنا إلى أبى سعيد الخدرى فإنه قد أخبرت أنه قد اشتكى ، فانطلقنا حتى دخلنا على أبى سعيد فوجدناه مستلقياً واضعاً رجله اليمنى على اليسرى ، فسلمنا عليه وجلسنا ، فرفع قتادة يده إلى رجل أبى سعيد الخدرى وقرصها قرصة شديدة فقال أبو سعيد : سبحان الله يا ابن أم أوجعتنى ، قال ذلك أردت أن رسول الله ﷺ قال : إن الله تعالى لما قضى خلقه استلقى ثم وضع إحدى رجليه على الأخرى ثم قال لا ينبغي لأحد من خلقى أن يفعل هذا ، قال أبو سعيد لا جرم لا أفعله أبداً^(١).

قال عبد الله بن حنبل : ما رأيت هذا الحديث فى دواوين الشريعة المعتمد عليها ؛ وأما عبيد بن حنين فقال البخارى : لا يصح حديثه فى أهل المدينة . وفى الحديث علة أخرى وهى أن قتادة بن النعمان مات فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وعبيد بن حنين مات سنة خمس ومائة وله خمس وسبعون سنة فى قول الواقدى ،

(١) روى الحافظ البيهقى هذا الخبر فى (الأسماء والصفات) وقال : فهذا حديث منكر ولم أكتبه إلا من هذا الوجه وفليح بن سليمان - أحد رواة - مع كونه من شرط البخارى ومسلم فلم يخرجوا حديثه هذا فى الصحيح وهو عند الحفاظ غير محتج به ، عن يحيى بن معين يقول : فليح بن سليمان لا يحتج بحديثه ، عنه يقول : فليح ضعيف ، وعن النسائى أنه قال : فليح ليس بالقوى . قال الشيخ : فإذا كان فليح بن سليمان المدنى مختلفاً فى جواز الاحتجاج به عند الحفاظ لم يثبت بروايته مثل هذا الأمر العظيم اهـ . وذكر أيضاً علة عدم اجتماع عبيد بقتادة . (ز)

فتكون روايته عن قتادة بن النعمان منقطعة ، قال الإمام أحمد : ثم لو صح طريقه احتمل أن يكون رسول الله ﷺ حدث به عن بعض أهل الكتاب على طريق الإنكار عليهم فلم يفهم قتادة إنكاره .

ومن هذا الفن حديث رويناه أن الزبير سمع رجلاً يحدث عن رسول الله ﷺ فاستمع له الزبير حتى إذا قضى الرجل حديثه قال الزبير أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ فقال الرجل نعم ، قال هذا وأشباهه مما يمنع أن نحدث عن النبي ﷺ قد لعمرى سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأنا يؤمئذ حاضر ولكن رسول الله ﷺ ابتدأ بهذا الحديث فحدثناه عن رجل من أهل الكتاب حدثه يومئذ فجئت أنت بعد انقضاء صدر الحديث وذكر الرجل الذى هو من أهل الكتاب فظننت أنه من حديث رسول الله ﷺ قلت وغالب الظن أن الإشارة فى حديث الزبير إلى حديث قتادة فإن أهل الكتاب قالوا : إن الله تعالى لما خلق السموات والأرض استراح فنزل قوله تعالى ﴿ وما مسنا من لغوب ﴾ فيمكن أن يكون رسول الله ﷺ حكى ذلك عنهم ولم يسمع قتادة أول الكلام .

وقد روى عبد الرحمن بن أحمد فى كتاب السنة قال رأيت الحسن قد وضع رجله اليمنى على شماله وهو قاعد فقلت يا أبا سعيد تكره هذه القعدة فقال قاتل الله اليهود ثم قرأ قوله تعالى ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾

فعرفت ما عني به فأمسكت . قلت وإنما أشار الحسن إلى ما ذكرناه عن اليهود .

وقد صح عن رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما أنهم كانوا يستلقون ويضعون رجلاً على رجل ، وإنما يكره هذا لمن لا سراويل له والله أعلم .

* * *

الحديث العاشر : روى القاضى (أبو يعلى) عن حسان بن عطية أن رجلاً من المشركين سبَّ رسول الله ﷺ ، فحمل عليه رجل من المسلمين فقتله ، وقتل الرجل ، فقال رسول الله ﷺ : ما تعجبون من نصر الله تعالى ورسوله لقي الله تعالى متكئاً فقعده .

هذا حديث مقطوع بعيد عن الصحة ، ولو كان له وجه كان المعنى : فأقبل الله تعالى عليه وأنعم .

* * *

الحديث الحادى عشر : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أنس عن النبى ﷺ أنه قال « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض » ^(١) .

(١) يقول جاز الله الزمخشري فى كتابه (الفائق فى غريب الحديث) : وضع القدم على الشيء مثل للردع والقمع ، فكأنه قال : يأتيها أمر الله فيكفها عن طلب المزيد فترتدع هـ .

قلت : الواجب علينا أن نعتقد أن ذات الله عز وجل لا تتبع ولا يحويها مكان ولا توصف بالتغير ولا بالانتقال ، وقد حكى أبو عبيد الهروى عن الحسن البصرى أنه قال : إقدامهم الله لها من شرار خلقه وأثبتهم لها ، وقال أبو منصور الأزهري : إقدام الذين تقدم القول بتخليدهم في النار ، يقال لما قدم قدم ولما هدم هدم ، ويؤيد هذا قوله (وأما الجنة فينشئ لها خلقا) .

ووجه ثان أن كل قادم عليها يسمى قدما فالقدم جمع قادم ، ومن يرويه بلفظ (الرجل) فإنه يقال : (رجل من جراد) فيكون المراد يدخلها جماعة يشبهون في كثرتهم الجراد فيسرعون التهافت فيها .

وقال القاضي (أبو يعلى) : إقدام صفة ذاتيه ، قال ابن الزاغوني : يقول إنما وضع قدمه في النار ليخبرهم أن أصنامهم تحترق وأنا لا أحترق . وهذا إثبات تبعية وهو من أقبح الاعتقادات . ورأيت أبا بكر بن خزيمة قد جمع كتاباً في الصفات ^(١) . وبوبه فقال : باب إثبات اليد ، باب إمساك السموات على أصابعه ، باب إثبات الرجل وإن رغمت المعتزلة ، ثم قال قال الله تعالى « ألهم

= وفي أساس البلاغة : من المجاز « فيضع قدمه عليها » أى فيسكنها ويكسر سورتها كما يضع الرجل قدمه على الشيء المضطرب فيسكنه .

(١) وهو الكتاب الذى يسميه (كتاب التوحيد) ، والإمام فخر الدين الرازى يقول عنه : (وهو فى الحقيقة كتاب الشرك) . (ز)

أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها ﴿ فأعلمنا أن ما لا يد له ولا رجل فهو كالأنعام .

قال ابن عقيل : تعالى الله أن يكون له صفة تشغل الأمكنة ، وليس الحق تعالى بذى أجزاء وأبعاد فيعالج بها ، ثم إنه أليس يعمل فى النار أمر وتكوينه حتى يستعين بشيء من ذاته ويعالجها بصفة من صفاته وهو القائل ﴿ كونى برداً وسلاماً ﴾ فما أسخف هذا الاعتقاد وأبعده عن مكون الأملاك والأفلاك ، وقد صرح بتكذيبهم فقال تعالى ﴿ لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ﴾ فكيف يظن بالخالق أن يردّها ، تعالى الله عن تجاهل المجسّمة .

* * *

الحديث الثانى عشر : روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال « ضرس الكافر فى النار مثل أحد وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار »^(١).

قال أبو عمر الزاهد : الجبار ها هنا الطويل ، يقال نخلة جبارة^(٢) . قال القاضى (أبو يعلى) نحملها على ظاهرها ، والجبار

(١) يقول الشيخ اسماعيل العجلونى فى كتابه (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) : رواه مسلم عن أبى هريرة مرفوعاً وأحمد والطبرانى والبيهقى عن ابن عمر مرفوعاً ، والترمذى عن أبى هريرة (بالفاظ متقاربة) .

(٢) قال ابن قتيبة فى كتابه (تأويل مختلف الحديث) فى كلامه على هذا الحديث : ونحن نقول أن لهذا الحديث مخرجاً حسناً إن كان النبى ﷺ أراد به وهو أن يكون الجبار ههنا الملك قال الله تعالى ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ أى بملك مسلط والجبارة المملوك ، وهذا =

هو الله عز وجل . قلت : واعجباً أذهبت العقول إلى هذا الحد ! أوّ
يجوز أن يقال : إن الذراع اثنان وأربعون مرة حتى يبلغ جلد الكافر
ويضاف إلى الذات القديمة ! تعالى الله علواً كبيراً .

* * *

الحديث الثالث عشر : روى القاضى (أبو يعلى) عن
مجاهد أنه قال : إذا كان يوم القيامة يذكر داود عليه الصلاة والسلام
ذنبه فيقول الله تعالى كن أمامى فيقول يا رب ذنبى ذنبى ، فيقول
كن خلفى فيقول يا رب ذنبى فيقول له خذ بقدمى ، وفى لفظ عن
ابن سيرين قال إن الله تعالى ليقرب داود حتى يضع يده على فخذه .
والعجب من إثبات ذلك للحق سبحانه وتعالى بأقوال
التابعين وما تصح عنهم ولو صحت فإنما يذكرونها عن أهل الكتاب
كما يذكر وهب بن منبه ؛ قال القاضى (أبو يعلى) نحمله على
ظاهره لأننا لا نثبت قدماً وفخذاً هو جارحة .

واعجباً لقد كملوا هيئة البدن بإثبات فخذ وساق وقدم ووجه
ويدين وأصابع وخنصر وإبهام وصعود ونزول ، ويقولون تحمل على
ظاهرها وليست جوارح .

وهل يجوز لعاقل أن يثبت لله تعالى خلفاً وأماماً وفخذاً ! ما

= كما يقول الناس : هو كذا وكذا ذراعاً بذراع الملك يريدون : بالذراع الأكبر ، وأحسبه
ملكاً من ملوك العجم كان تام الذراع فنسب إليه .

ينبغي أن نحدث هؤلاء لأننا قد عرفنا الفخذ فيقال : ليس بفخذ والخلف ليس بخلف، ومثل هؤلاء لا يحدثون فإنهم يكابرون العقول كأنهم يحدثون الأطفال .

* * *

الحديث الرابع عشر : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة » وفى أفراد مسلم من حديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ أخبر عن آخر من يدخل الجنة وضحك ، فقليل مم تضحك ؟ فقال من ضحك رب العالمين .

اعلم أن الضحك له معان ترجع إلى معنى البيان والظهور وكل من أبدى عن أمر كان مستوراً قيل قد ضحك ، يقال : « ضحكت الأرض بالنبات » إذا ظهر فيها وانفتق عن زهره ، كما يقال « بكت السماء » قال الشاعر :

كل يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء
وكذلك الضحك الذى يعتري البشر إنما هو انفتاح الفم عن الأسنان ، وهذا يستحيل على الله سبحانه وتعالى فوجب حمله على معنى أبدى الله تعالى كرمه وفضله . ومعنى (ضحكت لضحك ربى) أبديت عن أسنانى بفتح فمى لإظهار ربى كرمه وفضله . وقد روى فى حديث موقوف (ضحك حتى بدت لهواته وأضراسه) ذكره

الخلال فى كتاب السنة . وقال المروزى : قلت لأبى عبد الله : ما تقول فى هذا الحديث ؟ قال « يشفع » ثم يقول : على تقدير الصحة يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون ذلك راجعاً إلى النبى ﷺ كأنه ضحك حين أخبر بضحك الرب جل جلاله حتى بدت لهواته وأضراسه وهذا هو الصحيح لو ثبت الحديث ؛ والثنى أن يكون تجوزاً عن كثرة الكرم وسعة الرضا كما جوز بقوله (ومن أتانى يمشى أتيته هرولة) .

قال القاضى (أبو يعلى) لا يمتنع الأخذ بظاهر الأحاديث وإمرارها على ظواهرها من غير تأويل .

قلت واعجباً قد أثبت لله تعالى صفات بأحاديث آحاد وألفاظ لا تصح وقد أثبت الأضراس ، فما عنده من الإسلام خبر .

* * *

الحديث الخامس عشر : روى القاضى (أبو يعلى) عن عبد الله بن عمر موقوفاً أنه قال « خلق الله تعالى الملائكة من نور الذراعين والصدر » .

وقد أثبت به القاضى ذراعين وصدرأ لله عز وجل . وهذا قبيح لأنه حديث ليس بمرفوع ولا يصح ، وهل يجوز أن يخلق مخلوق من ذات القديم ! هذا أقبح مما ادعاه النصارى .

الحديث السادس عشر: روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبى ﷺ قال « يدنى المؤمن من ربه فيضع عليه كنفه فيقول تعرف ذنب كذا » .

قال العلماء يدنيه من رحمته ولطفه ، قال ابن الأنبارى : كنفه حياطته وستره ، يقال : قد كنف فلان فلاناً إذا حاطه وستره وكل شىء ستر شيئاً فقد كنفه ، ويقال للترس كنيف لأن يستر صاحبه .

قال القاضى (أبو يعلى) يدنيه من ذاته . وهذا قول من لم يعرف الله سبحانه وتعالى ولا يعلم أنه لا يجوز عليه الدنو الذى هو مسافة . وكذلك قوله : « إنه ليدنو يوم عرفة » أى يقرب بلطفه وعفوه .

* * *

الحديث السابع عشر : روى مسلم فى أفرادہ من حديث معاوية بن الحكم قال : كانت لى جارية ترعى غنماً لى ، فانطلقت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة فصككتها صكة ، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك على فقلت ألا أعتقها ؟ قال ائتنى بها فقال لها : (أين الله تعالى) قالت فى السماء ، قال من أنا ؟ قالت رسول الله ، قال رسول الله ﷺ : (اعتقها فإنها مؤمنة) .

قلت قد ثبت عند العلماء أن الله تعالى لا تحويه السماء ولا الأرض ولا تضمنه الأقطار، وإنما عرف بإشارتها تعظيم الخالق جل جلاله عندها .

* * *

الحديث الثامن عشر : رواه أبو رزين قال قلت : يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : (كان فى عماء ما تحته هواء ولا فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء) ^(١) .

العماء السحاب ، واعلم أن الفوق والتحت يرجعان إلى السحاب لا إلى الله تعالى و (فى) بمعنى فوق ، والمعنى : كان فوق السحاب بالتدبير والقهر . ولما كان القوم يأنسون بالمخلوقات سألوها عنها ، والسحاب من جملة خلقه ، ولو سئل عما قبل السحاب لأخبر أن الله تعالى كان ولا شىء معه ، كما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال (كان الله سبحانه وتعالى ولا شىء معه) ولسنا نختلف أن الجبار تعالى لا يعلوه شىء من خلقه بحال وأنه لا يحل فى الأشياء بنفسه ولا يزول عنها ، لأنه لو حل بها كان منها ولو زال عنها لنأى عنها ..

* * *

(١) رواه الإمام أحمد فى مستنده وابن جرير فى تهذيب الآثار والطبرانى فى الكبير وأبو الشيخ فى العظمة (جمع الجوامع للسيوطى) .

الحديث التاسع عشر : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول من يدعونى فأستجيب له) .

روى حديث النزول عشرون صحابياً ، وقد سبق القول أنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والنقلة والتغير ، فيبقى الناس رجلين :

أحدهما المتأول بمعنى أنه يقرب برحمته ، وقد ذكر أشياء بالنزول فقال تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) وإن كان معدنه فى الأرض ، وقال تعالى (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) ومن لم يعرف نزول الجمل كيف يتكلم فى الجمل .

والثانى الساكت عن الكلام فى ذلك مع اعتقاد التنزيه ، والواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة ، وأن النزول الذى هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام : جسم عال هو مكان لساكنه ، وجسم سافل ، وجسم منتقل من علو إلى سفلى وهذا لا يجوز على الله عز وجل .

قال ابن حامد : هو على العرش بذاته مماس له وينزل من مكانه الذى هو فيه وينتقل . وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى . وقال القاضى (أبو يعلى) : النزول صفة ذاتية ولا نقول

نزل انتقال . وهذا مغالط ومنهم من قال يتحرك إذا نزل . وما يدري أن الحركة لا تجوز على الله تعالى . وقد حكوا عن الإمام أحمد ذلك وهو كذب عليه ^(١) . ولو كان النزول صفة ذاتية لذاته كانت صفته كل ليلة تتجدد ^(٢) . وصفاته قديمة كذاته .

* * *

(١) حكى ذلك أبو يعلى فى طبقاته عن أحمد بطريق أبى العباس الأصطخرى ، وهو كما قال المصنف نقل مفترى . وعجيب من ابن تيمية كتبه فى معقوله - غير منكر - ما يرويه حرب ابن إسماعيل الكرمانى صاحب محمد بن كرام فى مسائله عن أحمد وغيره فى حقه سبحانه ... يتكلم ويتحرك .. هـ . ونقل أيضاً عن نقض الدارمى - ساكتاً أو مقرا - الحى القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك إذا شاء ويهبط ويرتفع إذا شاء ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء لأن أمانة ما بين الحى والميت التحرك وكل حى متحرك لا محالة وكل ميت غير متحرك لا محالة هـ (أى ابن تيمية) حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين فقال (كنزولى هذا) فنسب إلى التجسيم هـ .

(٢) مما يقوله ابن حزم الظاهرى فى حديث النزول : هذا إنما هو فعل يفعله الله تعالى فى سماء الدنيا من الفتح لقبول الدعاء وأن تلك الساعة من مظان القبول والإجابة والمغفرة للمجتهدين والمستغفرين والتائبين ، وهذا معهود فى اللغة تقول : نزل فلان عن حقه لى بمعنى وهبه لى وتطول به على ، ومن البرهان على أنه صفة فعل لا صفة ذات أن رسول الله ﷺ علق التنزل المذكور بوقت محدود وصح أنه فعل محدث فى ذلك الوقت مفعول حينئذ ، وقد علمنا أن ما لم يزل فليس متعلقاً بزمان البتة وقد بين رسول الله ﷺ فى بعض ألفاظ الحديث المذكور ما ذلك الفعل وهو أن ذكر عليه السلام أن الله يأمر ملكاً ينادى فى ذلك الوقت بذلك ، وأيضاً فإن ثلث الليل مختلف فى البلاد باختلاف المطالع والمغرب يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه فصيح ضرورة أنه فعل يفعله ربنا تعالى فى ذلك الوقت لأهل كل أقب ، وأما من جعل ذلك نقلة فقد قدما بطلان قوله فى إبطال القول بالجسم / هـ . (ز)

الحديث العشرين : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين
عن أبى هريرة أن رجلا أتى النبى فقال إني مجهود ، فقال ﷺ من
يضيفه هذه الليلة ؟ فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يارسول الله ،
فانطلق به إلى امرأته فقال هل عندك شىء ؟ قالت : لا إلا قوت
صبيانى ، فقال : فعليهم بشىء إذا أراد الصبية العشاء فنومهم فإذا
دخل ضيفنا فاطفئى السراج وأريه أنا نأكل فقعدها وأكل الضيف فلما
أصبح غدا على النبى ﷺ فقال : « لقد عجب الله تعالى من صنيعكما
بضيفكما الليلة » .

وفى أفراد البخارى من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ
قال « عجب الله من قوم جربهم فى السلاسل حتى يدخلهم الجنة » .
قال العنماء : العجب إنما يكون من شىء يدهم الإنسان مما
لا يعلمه فيستعظمه وهو لا يليق بالخالق جل جلاله ، لكن معناه :
عظم قدر ذلك الشىء عند الله لأن المتعجب من الشىء يعظم قدره
عنده ، ومعنى السلاسل أكرهوا على الطاعة التى بها يدخلون ، وقال
ابن الأنبارى : معنى عجب ربك : زادهم إنعاما وإحسانا فعبّر فى هذا
الحديث بالعجب عن ذلك .

* * *

الحديث الحادى والعشرون : روى البخارى ومسلم فى
الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال « لله أشد

فرحاً بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها .

قال المصنف : لما كان مسروراً بشيء راضياً قيل له فرح ، والمراد الرضا بتوبة التائب ، ولا يجوز أن يعتقد في الله سبحانه وتعالى التأثر الذي يوجد في المخلوقين ، فإن صفات الحق تعالى قديمة لا تحدث له صفة .

* * *

الحديث الثاني والعشرون : روى مسلم في أفرادهِ من حديث أبي موسى قال قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال « إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، حجابهُ النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » (١) .

قوله (حجابهُ النور) ينبغي أن يعلم أن هذا الحجاب للخلق عنه لأنه لا يجوز أن يكون محجوباً ، لأن الحجاب يكون أكبر مما يستره وكما أنه لا يجوز أن يكون لوجوده ابتداء ولا انتهاء لا يصح أن يكون لذاته نهاية وإنما المراد أن الخلق محجوبون عنه كما قال تعالى ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ وأما السبحات فجمع سبحة ويقال أن السبحة جلال وجهه ومنه قوله (سبحان الله) إنما

(١) يقول النووي في شرح صحيح مسلم : والتقدير : لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نوراً أو ناراً وتجلي لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته . (ز)

هو تعظيم له وتنزيه .

وقال القاضي (أبو يعلى) : لا يمنع إطلاق حجاب من دون الله تعالى لا على وجه الحد والمحاذاة . وهذا كلام مختلط يرضى به العوام .

* * *

الحديث الثالث والعشرون : روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال - إن أهل الجنة يرون ربهم تعالى فى كل جمعة فى رمال الكافور وأقربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجمعة .

قوله (فى رمال الكافور) إشارة إلى الحاضرين ثم فى رمال الكافور وأقربهم منه أى أحظاهم عنده .

وفى حديث آخر : « المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن » . وقال بعضهم « يمين العرش » وفى حديث سوق الجنة : ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة ويروى خاصره بالخاء المعجمة . وهذا يرويه يوسف بن عبد الله وهو خطأ والمخاضرة المصافحة وقال القاضي (أبو يعلى) : لا يمتنع أن يكون الحق تعالى فى رمال الكافور . فقد أقر بالحصر ، ثم قال لا على وجه الانتقال . وهذا تلاعب ، ثم قال ولا يمتنع قريبهم من الذات ، وهذا يضيع معه الحديث ، واستدل بقوله (ما منكم من أحد إلا سيخولبه ربه تعالى) وقال : الخلوة عبارة عن القرب ويجوز

القرب من الذات . وقد سبق ردُّ هذا .

* * *

الحديث الرابع والعشرون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث ابن مسعود قال جاء خبر إلى النبى ﷺ فقال يا محمد إن الله يمسك السموات يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع ، وفى لفظ والماء والثرى على إصبع ثم يهزهن فضحك رسول الله ﷺ ثم قال ﴿ وما قدرُوا الله حق قدره .. ﴾ .

قلت وظاهر ضحك النبى ﷺ الإنكار ^(١) ، واليهود مشبهة ونزول الآية دليل على إنكار الرسول ﷺ عليهم وفى معنى هذا الحديث قوله ﷺ « إن قلوب بنى آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » ولما كان القلب بين إصبعين ذليلاً مقهوراً دل هذا على أن القلوب مقهورة لمقلبها .

وقال القاضى (أبو يعلى) : غير ممتنع حمل الخبر على ظاهره فى إثبات الأصابع صفات راجعة إلى الذات لأننا لا نثبت أصابع هى جارحة ولا أبعاد . وهذا كلام مخلط لأنه إما أن يثبت جوارح وإما أن يتأولها . وأما حملها على ظاهرها فظاهرها الجوارح

(١) يستبعد ابن خزيمة - وهو ممن وقع فى خطأ التشبيه - أن يكون ضحك الرسول ﷺ إنكاراً ، وقد نقض الحافظ ابن حجر زعمه هذا فى الفتح . (ز)

ثم يقول : ليست أبعاضا . فهذا كلام قائم قاعد ويضيع الخطاب لمن يقول هذا .

* * *

الحديث الخامس والعشرون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال « يطوى الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ... » ^(١) . هكذا رواه مسلم وهى أتم الروايات ؛ قد ثبت بالدليل القاطع أن يد الحق سبحانه وتعالى ليست جارحة وأن قبضته الأشياء ليست مباشرة ولا له كف ، وإنما قربه رسول الله ﷺ إلى الأفهام بما يدركه الحس ، وأما رواية الشمال فضعيفة بالمرة ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال « وكلتا يديه يمين مباركة » ^(٢) . وهذا يوهن ذكر الشمال .

* * *

الحديث السادس والعشرون : رواه الإمام أحمد رحمه الله فى

(١) فى الذى بين أيدينا من نسخ صحيح مسلم زيادة « ثم يطوى الأرضين بشماله » . (ز)
(٢) يقول القتيبى عند الكلام على هذا الحديث : إنما أراد بذلك معنى التمام والكمال لأن كل شئ فمياصره تنقص عن ميامنه فى القوة والبطش والتمام ، وكانت العرب تحب التيامن وتكره التياسر لما فى اليمين من التمام وفى اليسار من النقص ، ويجوز أن يريد العطاء باليدين جميعاً لأن اليمين هى المعطية فإذا كانت اليدان يمينين كان العطاء بهما وإلى هذا ذهب المزار حين قال :

وأن على الإوانة من عقيل فتى كلتا اليدين له يمين (ز)

مسنده من حديث أنس عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾ قال قال هكذا يعنى أنه أخرج طرف الخنصر ، وفي لفظ فأوماً بخنصره فساخ . وروى ابن حامد ﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾ قال خرج منه أول مفصل من خنصره .

هذا الحديث تكلم فيه علماء الحديث وقالوا : لم يروه عن ثابت غير حماد بن سلمة ، وكان ابن العوجاء الزنديق قد أدخل على حماد أشياء فرواها في آخر عمره ، ولذلك تجافى بعض أصحاب الصحيح الإخراج عنه ، ومخرج الحديث سهل وذلك أن النبي ﷺ كان يقربه إلى الأفهام بذكر الحسيات فوضع يده على خنصره إشارة إلى أن الله تعالى أظهر اليسير من آياته .

* * *

الحديث السابع والعشرون : روى القاضى (أبو يعلى) عن عكرمة أنه قال إذا أراد الله عز وجل أن يخوف عباده أبدى عن بعضه إلى الأرض فعند ذلك تتزلزل وإذا أراد الله أن يدمدم على قوم تجلى لهم .

قال القاضى (أبو يعلى) : (أبدى عن بعضه) هو على ظاهره وهو راجع إلى الذات على وجه لا يفضى إلى التبعض . قلت : ومن يقول أبدى عن بعض ذاته وما هو بعض لا يكلم وإنما المراد أبدى عن آياته .

* * *

الحديث الثامن والعشرون : روى أبو الأخمص الجمحي عن رسول الله ﷺ قال له : لعلك تأخذ موساك فتقطع أذن بعضها فتقول هذه نحر ، وتشق أذن الأخرى وتقول صرم ؟ قال : نعم ، قال : فلا تفعل فإن موسى الله تعالى أحد من موساك وساعد الله تعالى أشد من ساعدك .

قال القاضي (أبو يعلى) : لا يمتنع حمل الخبر على ظاهره في إثباته الساعد صفة لذاته . قلت : المراد بالساعد القوة لأن قوة الإنسان في ساعده وكان ينبغي أن يثبت موسى أيضاً .

* * *

الحديث التاسع والعشرون : روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين عيني الرحمن » .
قد ذكرنا صفة العين في الآيات المذكورة قبل الأحاديث ، والمراد بالحديث أن الله تعالى يشاهد المصلى فليتأدب وكذلك قوله « فإن الله تعالى قبل وجهه » أى يراه .

* * *

الحديث الثلاثون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة فقال ﷺ من هذه قالت فلانة تذكر من صلاتها فقال ﷺ « مه عليكم

ما تطيقون فوالله لا يمل الله تعالى حتى تملوا » وفي لفظ « لا يسأم الله تعالى حتى تسأموا » .

قال العلماء معنى الحديث لا يمل الله تعالى وإن مللتم كما قال الشاعر :

صليت منى هذيل بخرق لا يملُ الشرُّ حتى يملوا

المعنى لا يملُ وإن ملوا وإلا لم يكن له فضل عليهم . وقال قوم : من ملَّ من شيء تركه ، والمعنى لا يترك الثواب ما لم يتركوا العمل ، وأما الملل الذي هو كراهة الشيء والاستئثار له ونفور النفس عنه والسآمة منه فمحال في حقه تعالى لأنه يقتضى تغييره وحلول الحوادث في حقه .

* * *

الحديث الحادى والثلاثون : روت خولة بنت حكيم عن النبى ﷺ أنه قال « إن آخر وطأة وطئها الرحمن بوج » .

وج : واد بالطائف وهى آخر وقعة أوقعها الله تعالى بالمشركين على يد رسول الله ﷺ ومنه قوله ﷺ « اللهم اشدد وطأتك على مضر » مأخوذ من القدم وإلى هذا ذهب ابن قتيبة وغيره ، قال القاضى (أبو يعلى) غير ممتنع على أصولنا حمل هذا الخبر على ظاهره وأن ذلك معنى بالذات دون الفعل لأننا حملنا قوله ينزل ويضع قدمه فى النار على الذات . وهذا الرجل يشير بأصولهم إلى ما يوجب

التجسيم والانتقال والحركة وهذا مع التشبيه بعيد عن اللغة ومعرفة التواريخ وأدلة المعقول وإنما اغتر بحديث روى عن كعب أنه قال (وجّ مقدس منه عرج الرب إلى السماء ثم قضى خلق الأرض) وهذا لو صح عن كعب احتمل أن يكون حاكياً عن أهل الكتاب وكان يحكى عنهم كثيراً ولو قدرناه من قوله كان معناه أن ذلك المكان آخر ما استوى من الأرض لما خلقت ثم عرج الرب أى عمد إلى خلق السماء وهو قوله تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء وهى دخان ﴾ ويروى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال (لما أسرى بى مربى جبريل عليه الصلاة والسلام حتى أتى الصخرة فقال : يا محمد من هاهنا عرج ربك إلى السماء) وهذا يرويه بكر بن زياد وكان يضع الحديث على الثقات . فإن قيل قال ابن عباس رضى الله عنهما (استوى إلى السماء) سعد قلنا : سعد أمره إذا لا يجوز عليه الانتقال والتغير .

* * *

واعلم أن الناس فى أخبار الصفات على ثلاث مراتب : (أحدها) إمرارها على ما جاءت من غير تفسير ولا تأويل إلا أن تقع ضرورة كقوله تعالى ﴿ وجاء ربك ﴾ أى جاء أمره وهذا مذهب السلف .

« المرتبة الثانية » التأويل ، وهو مقام خطر ^(١) .

« والمرتبة الثالثة » : القول فيها بمقتضى الحس ، وقد

(١) يقول فى شرح المشكاة : قال النووى فى شرح مسلم : فى هذا الحديث (حديث النزول) وشبهه من أحاديث الصفات وآياتها مذهبان مشهوران : فمذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين الإيمان بحقيقتها على ما يليق به تعالى وأن ظاهرها المتعارف فى حقنا غير مراد ولا نتكلم فى تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله سبحانه عن سائر سمات الحدوث ، والثانى مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف وهو محكى عن مالك والأوزاعى إنما يتأول على ما يليق بها بحسب بواطنها فعليه الخبر مؤول بتأويلين أى المذكورين . وبكلامه وبكلام الشيخ الربانى أبى إسحاق الشيرازى وإمام الحرمين والغزالى وغيرهم من أئمتنا وغيرهم يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالجمعي والصورة والشخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون فى السماء وغير ذلك عما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يحكم بكفرها بالإجماع ، فاضطر جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره ، وإنما اختلفوا هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته من غير أن نؤوله بشيء آخر وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهو تأويل تفصيل ولم يريدوا بذلك مخالفة السلف الصالح معاذ الله أن يظن بهم ذلك وإنما دعت الضرورة فى أزمنتهم لذلك لكثرة المجسمة والجهمية وغيرهما من فرق الضلال واستيلائهم على عقول العامة ، فقصودوا بذلك ردعهم وبطالان قولهم ومن ثمت اعتذر كثير منهم وقالوا : لو كنا على ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم المبطلين فى زمنهم لم نخض فى تأويل شىء من ذلك وقد علمت أن مالكا والأوزاعى وهما من كبار السلف أولا الحديث تأويلاً تفصيلياً وكذلك سفيان الثوري أول الاستواء على العرش بقصد أمره ونظيره ثم استوى إلى السماء أى قصد إليها ومنهم الإمام جعفر الصادق ، بل قال جمع منهم ومن الخلف : أن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقى وقال أنه قول لأبى حنيفة ومالك والشافعى والأشعري والباقلاني ، وقد اتفق سائر الفرق على تأويل نحو ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم الآية ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد و (قلب المؤمن بين إصبعين من أصبع الرحمن) و (الحجر الأسود يمين الله فى الأرض) وهذا الاتفاق يبين لك صحة ما اختاره المحققون أن الوقف على (الراسخون فى العلم) لا الجلالة . قلت الجمهور على أن الوقف على (إلا الله) وعدوا وقفه وفقاً =

= لازماً وهو الظاهر لأن المراد بالتأويل معناه الذى أراده تعالى وهو فى الحقيقة لا يعلمه إلا الله جل جلاله ولا إله غيره ، وكل من تكلم فيه تكلم بحسب ما ظهر له ولم يقدر أحد أن يقول إن هذا التأويل هو مراد الله جزماً ففى التحقيق الخلاف لفظى ولهذا اختار كثيرون من محققى المتأخرين عدم تعيين التأويل فى شىء معين من الأشياء التى تليق باللفظ ويكفلون تعيين المراد بها إلى علمه تعالى ، وهذا توسط بين المذهبين وتلذذ بين المشربين واختار ابن دقيق العيد توسطاً آخر فقال : إن كان التأويل من المجاز البين الشائع سلوكه من غير توقف أو من المجاز البعيد الشاذ فالحق تركه وإن استوى الأمران فالاختلاف فى جوازه وعدمه مسألة فقهية اجتهادية والأمر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين . قلت التوقف فيها لعدم ترجيح أحد الجانبين مع أن التوقف مؤيد بقول السلف ومنهم الإمام الأعظم اهـ . ويقول فى شرح المشكاة أيضاً : والحاصل أن السلف والخلف مؤولون لإجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره ولكن تأويل السلف إجمالى لتفويضهم إلى الله تعالى وتأويل الخلف تفصيلى لاضطرارهم إليه لكثرة المبتدعين هـ .

وفى (إشارة النبىء فى كشف شبه أهل التشبيه إملاء الشيخ نجم الدين أبى الفتح نصر الله ابن العز بن سعد الله بن نجم الكاتب البغدادي) : وقد تأول العلماء والأدباء والشعراء قديماً وحديثاً ولذلك قول بعضهم :

أقول بالخد خال حسين أذكره خوف الرقيب وما بالخد من خال
أبكى إلى الشرق إن كانت منازلهم يجانب الغرب خوف القليل والقال

ومن قال : (لا أقول بالتأويل ولا أشبه) فقد تأول لأنه إذا عدل عن معنى النزول عنده ومعنى اليمين فى حديث (الحجر الأسود يمين الله فى الأرض) إلى غير ذلك فقد تأول فلا محيص لكم عن التأويل بحال اهـ .

ويقول العلامة الألوسى فى تفسيره عند الكلام على الوجه : والتأويل القريب إلى الذهن الشائع نظيره فى كلام العرب مما لا بأس به عندى ، على أن بعض الآيات مما أجمع على تأويلها السلف والخلف والله تعالى أعلم بمراده هـ . وقال أيضاً : وأنا أميل إلى التأويل وعدم القول بالظواهر مع نفى اللوازم فى بعض ما ينسب إلى الله مثل قوله تعالى ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ ، وقوله ﷻ (الحجر الأسود يمين الله فى أرضه فمن قبله أو صافحه فكأنما صافح الله تعالى وقبل يمينه) فأجعل الكلام فيه خارجاً مخرج التشبيه لظهور القرينة ، ولا أقول : الحجر الأسود من صفاته كما قال السلف فى اليمين اهـ .

وقد عقد ابن المعلم فى كتابه (نجم المهتدى ورجم المعتدى) باباً سرد فيه جماهير المؤولين (فيما يظهر فيه وجه الكلام) من الصحابة والتابعين وغيرهم . (ز)

عم جهلة الناقلين إذ ليس لهم حظ من علوم المعقولات التي يعرف بها ما يجوز على الله تعالى وما يستحيل ، فإن علم المعقولات يصرف ظواهر المنقولات عن التشبيه ، فإذا عدموها تصرفوا في النقل بمقتضى الحس ، وإليه أشار القاضي (أبو يعلى) بقوله : لا يمتنع أن يحمل التي وطئها الحق تعالى على أصولنا وأنه معنى يتعلق بالذات . وأصولهم على زعمه ترجع إلى الحس .

ولو فهموا أن الله تعالى لا يوصف بحركة ولا انتقال ولا تغير ما بنوا على الحسيات ، والعجب أنه يقر بهذا القول ثم يقول : « من غير نقلة ولا حركة » فينقض ما بنى .

ومن أعجب ما رأيت لهم ما ذكروا عن ابن أبي شيبه أنه قال في كتاب العرش : إن الله تعالى قد أخبرنا أنه صار من الأرض إلى السماء ومن السماء إلى العرش فاستوى على العرش .

قلت : ونحن نحمد الله إذ لم يبخل حظنا من المنقولات ولا من المعقولات ، ونبرأ من أقوام شانوا مذهبنا ، فعابنا الناس بكلامهم .

* * *

الحديث الثاني والثلاثون : روى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال : « ما تقرب العباد إلى الله تعالى بمثل ما خرج منه » ^(١) . وهو القرآن وفي حديث عفان أن النبي ﷺ قال : « فضيلة القرآن على

(١) الذي في الجامع الكبير للسيوطي : (ما تقرب العباد إلى الله بشيء أحب إليه مما خرج منه) ابن السني عن زيد بن أرقم عن أبي أمامة .

سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه إن القرآن منه خرج وإليه يعود » والمعنى وصل إلينا من عنده وإليه يعود فيرفع .

* * *

الحديث الثالث والثلاثون : روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : إن الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألف سنة فلما سمعت الملائكة قالوا : طوبى لأمة ينزل عليهم ، وطوبى لأجواف تحمل هذا ، وطوبى لألسن تتكلم به .

هذا حديث موضوع يرويه إبراهيم بن المهاجر عن عمر بن حفص وأما عمر بن حفص فقال الإمام أحمد بن حنبل : حرقت أحاديثه وقال يحيى بن معين : ليس بشيء وقال أبو حاتم بن حبان الحافظ : هذا متن موضوع .

* * *

الحديث الرابع والثلاثون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال « إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك » ^(١) . وفى لفظ أخرجه البخارى أن النبى ﷺ قال « إن الرحم

(١) فى شرح صحيح مسلم للإمام النووى : قال القاضى عياض : الرحم التى توصل وتقطع =

شجنة من الرحمن .

قال أبو عبيد : الشجنة كالغصن من الشجرة ، ومعنى شجنة أى قرابة مشتبكة كاشتباك العروق ولاشجر تشجن إذا التف بعضها ببعض .

قلت : لا يخلو هذا الحديث من أحد أمرين : إما أن يراد أن الله تعالى يراعى الرحم فيصل من يصلها ويقطع من قطعها ويأخذ لها حقها كما يراعى القريب قرابته كأنه يزيد فى المراعاة على الأجانب أو أن يراد أن الرحم حروف الرحمن فكأنه عظم قدرها بهذا الاسم ويؤكد هذا حديث عبد الرحمن بن عوف عن النبى ﷺ قال « قال الله تعالى أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » وقد ورد هذا الحديث بلفظ لم يخرج فى الصحاح « الرحم شجنة من الرحمن تعلق بحقوقى الرحمن تقول اللهم صل من وصلنى واقطع من قطعنى) وفى لفظ (الرحم شجنة آخذة بحقوق الرحمن) وفى لفظ (لما خلق الله تعالى الخلق قامت الرحم فأخذت بحقوق الرحمن فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة) . وهذه كلها أمثال ترجع إلى ما بيئنا ، ومعنى تعلقها بحقوق

= وتبر إنما هى معنى من المعانى ليست بجسم وإنما هى قرابة ونسب تجمعهم رحم والده ويتصل بعضه ببعض فسمى ذلك الاتصال رحماً ، والمعنى لا يتأتى منه القيام ولا الكلام ، فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب فى استعمال ذلك ، والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصلها وعظيم إثم قاطعها بعقوقهم . (ز)

الرحمن الاستجارة والاعتصام ^(١).

قال أبو بكر البيهقي : الحق الإزار ، والمعنى تتعلق بعزه .
قال ابن حامد : يجب التصديق بأن لله حقاً فتأخذ الرحم
بحقوه ، قال : وكذلك نؤمن بأن لله تعالى جنباً لقوله تعالى ﴿ على ما
فرطت في جنب الله ﴾ .
وهذا لا فهم له أصلاً ، كيف يقع التفريط في جنب الذات ،
نعوذ بالله من سوء الفهم .

* * *

الحديث الخامس والثلاثون : روى البخارى فى صحيحه ^(٢) .
أن النبى ﷺ قال : « يقول الله عز وجل الكبرياء رداً ، والعظمة
إزارى ، فمن نازعنى فيهما عذبتة » .

قال أبو سليمان الخطابى وفى الكلام أن الكبرياء والعظمة
صفتان لله تعالى اختص فيهما ، لا يشركه فيهما أحد ولا ينبغي
لمخلوق أن يتعاطاهما ، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل ، وضرب
الإزار والرداء مثلاً ، يقول والله تعالى أعلم : كما لا يشرك الإنسان

(١) قال فى النهاية : والحق فيه مجاز وتمثيل ومنه قولهم : عزت بحق فلان إذا استجرت به
واعتصمت اهـ وفى أساس البلاغة : لاذ بحقوه إذا فزع إليه .

(٢) يقول العجلونى فى كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس :
رواه مسلم وابن حبان وأبو داود وابن ماجه عن أبى هريرة والحاكم (بالفاظ متقاربة) ،
ومن أخرجه بلفظ الترجمة القضاعى عن أبى هريرة والحكيم الترمذى عن أنس هـ . ولم
يذكر البخارى فليحذر .

فى ردائه وإزاره أحد كذلك لا يشركه فى الكبرياء والعظمة مخلوق .

* * *

الحديث السادس والثلاثون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : « أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملاً ذكرته فى ملاً خير منه ، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » .
فذهب القاضى (أبو يعلى) إلى أن الله تعالى نفساً هى صفة زائدة عن الذات .

وهذا قول مبتدع ينوع به التشبيه ، لا يفرق بين الذات والنفس وما المانع أن يكون المعنى : ذكرته أنا ، وقد سبق هذا فى الكلام على الآيات . والتقريب والهرولة توسع فى الكلام ^(١) . كقوله تعالى ﴿ والذين سعوا فى آيتنا ﴾ لا يراد به المشي .

* * *

الحديث السابع والثلاثون : روى أبو سعيد عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى جميل يحب الجمال » ^(٢) .

(١) فى تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة عند الكلام على التقرب والهرولة : ونحن نقول : إن هذا تمثيل وتشبيه وإنما أراد : من أتانى مسرعاً بالطاعة أتيته بالثواب أسرع من إتيانه .

(٢) أثبت العجلونى فى كشف الخفاء ومزيل الإلباس هذا الحديث وقال رواه أحمد عن أبى ریحانة ، ومسلم والترمذى عن ابن مسعود ، وأبو يعلى والبيهقى عن أبى سعيد ، والطبرانى عن أبى أمامة وابن عمر وجابر ، وابن عدى فى الكامل عن ابن عمر .

قال العلماء : الجميل : المجل بتحسين الصور والأخلاق والإحسان والذي أراه أن الجميل الذى أوصافه تامة مستحسنة . وقد فسر القاضى (أبو يعلى) بما لا يليق بالحق سبحانه وتعالى فقال : غير ممتنع وصفه بالجمال ، فإن ذلك راجع إلى الذات ، لأن الجمال فى معنى الحسن قال وقد تقدم قوله ﷺ « رأيت ربي فى أحسن صورة » .

* * *

الحديث الثامن والثلاثون : روى القاضى (أبو يعلى) عن عمر بن عبد العزيز قال : إذا فرغ الله تعالى من أهل الجنة والنار أقبل يمشى فى ظل من الغمام والملائكة ، فيقف على أول درجة فيسلم عليهم فيردون عليه السلام فيقول : سلونى ، فيقولون : ماذا نسأل ، وعزتك وجلالك وارتفاعك فى علو مكانك لو أنك قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم وسقيناهم ولم ينقص ما عندنا ، فيقول تعالى بلى سلونى فيقولون : نسألك رضاك ، قال تعالى : رضائى أحكم دار كرامتى ، فيفعل هذا بأهل كل درجة حتى ينتهى إلى مجلسه .

هذا حديث مكذوب به على عمر . وبعد فكيف يثبت لله تعالى صفة بقول عمر ! . قال القاضى (أبو يعلى) : يشهد لحديث عمر قوله تعالى « يأتيهم الله فى ظل من الغمام » ولم يدر أن المعنى يأتيهم الله بظل من الغمام .

الحديث التاسع والثلاثون : روى عن عائشة رضى الله عنها
قالت : سئل رسول الله ﷺ عن المقام المحمود ، قال ﷺ « وعدنى
ربى عز وجل بالقعود على العرش » .

هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ .

قال ابن حامد : يجب الإيمان بما ورد به من المماساة
والقرب من الحق تعالى لنبيه ﷺ فى إقعاده على العرش ، قال وقال
ابن عمر : (وأن له عندنا لزلفى) قال ذكر الدنو منه حتى يمس
بعضه . وهذا كذب على ابن عمر ، ومن ذكر تبعيض الذات كفر
بالإجماع .

* * *

الحديث الأربعون : روى الدارقطنى من حديث أبى اسحاق
عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضى الله تعالى عنه أن امرأة
جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : ادع الله تعالى أن يدخلنى الجنة
فعظم الرب عز وجل فقال ﷺ : إن كرسيه وسع السموات والأرض
وأن له أطيطا كأطيط الرجل الجديد إذا ركب من ثقله .

هذا حديث مختلف جداً وقد رواه أبو إسحاق عن ابن خليفة
عن ابن عمر قال : إذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سمع له
أطيط كأطيط الرجل ، رواه ابن جرير أن عبد الله بن خليفة قال قال
رسول الله ﷺ إن كرسيه وسع السموات والأرض وأنه ليقعد عليه فما

يفضل منه مقدار أربع أصابع ثم قال بأصبعه فجمعها وإن له لأطيطا كأطيط الرجل إذا ركب من ثقله . هذا على ضد اللفظ الأول وكل ذلك من تخليط الرواة وسوء الحفظ والأليق فما يفضل منه مقدار أربع أصابع والمعنى أنه قد ملأه بهيبته وعظمته ، ويكون هذا ضرب مثل لقدر عظمة الخالق جل جلاله وقول الرواة : (إذا قعد) و (إذا جلس) من تغييرهم ومن تعبيرهم بما يظنونهم كما قال القائل (ثم استوى على العرش) قعد ، وإنما قلنا هذا لأن الخالق تعالى لا يجوز أن يوصف بالجلوس فيفضل ذلك الشيء لأن هذه صفة الأجسام .

* * *

الحديث الحادى والأربعون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى سعيد عن النبى ﷺ قال « يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت إن الله تعالى يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار » .

انفرد بلفظ الصوت حفص بن غياث وخالفه وكيع وجريز وغيرهما فلم يذكروا الصوت وسئل الإمام أحمد عن حفص قال - كان يخلط فى حديثه .

وفى الحديث الصحيح : (إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء كجر السلسلة على الصفا) . وفى حديث ابن مسعود : (إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلاصة كجر السلسلة على الصفا)

وليس فى الصحيح (سمع صوته أهل السماء) .

* * *

الحديث الثانى والأربعون : روى جابر عن النبى ﷺ أنه لما كلم الله موسى يوم الطور كلمه بغير الكلام الذى كلمه به يوم ناداه ، فقال له : يا موسى إنى كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولى قوة الألسنة كلها وأنا أقوى من ذلك ، فلما رجع إلى بنى إسرائيل قالوا : صف لنا كلام الرحمن ، قال : لا أستطيع ، قالوا : قرب لنا ، قال : ألم تروا صوت الصواعق التى تقبل بأحلى كلام سمعتموه .

هذا حديث لا يصح ، يرويه على بن عاصم عن الفضل بن عيسى قال النسائي : على بن عاصم متروك الحديث ، وقال يزيد بن هارون : ما زلنا نعرفه بالكذب .

* * *

الحديث الثالث والأربعون : روى القاضى (أبو يعلى) عن حسان بن عطية أنه قال : الساجد يسجد على قدم الرحمن . هذا قول تابعى وهو مثل للقرب من فضل الله تعالى . وأثبت القاضى (أبو يعلى) بهذا وصف قدم وأنه يسجد على قدمه حقيقة لا على وجه المماسه .

* * *

الحديث الرابع والأربعون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى موسى عن النبى ﷺ أنه قال : « جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما ، وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » .

الرأى فى جنة عدن لا المرئى لأنه لا تحيط به الأمكنة .

وقال القاضى (أبو يعلى) : ظاهر الحديث أن المرئى فى جنة عدن . وهذا التجسيم المحض . ورداء الكبرياء ما له من الكبرياء والعظمة ، وكأنه إن منعهم فلعظمته وإن شاء كشف لهم ؛ وقد تكلمنا على الوجه فى الآيات وقلنا المراد هو .

* * *

الحديث الخامس والأربعون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « لما قضى الله تعالى الخلق كتب فى كتابه فهو عنده ^(١) . فوق العرش إن رحمتى غلبت غضبى ، وفى لفظ (سبقت) .

قال القاضى (أبو يعلى) ظاهر قوله (عنده) القرب من الذات .

واعلم أن القرب من الحق تعالى لا يكون بمسافة ، إنما ذلك

(١) يقول العلامة العيني فى شرح صحيح البخارى : والعندية ليست مكانية بل هو إشارة إلى كمال كونه مكنونا عن الخلق مرفوعاً عن حيز إدراكهم . (ز)

من صفة الأجسام ، وقد قال تعالى ﴿ مسومة عند ربك ﴾ .

* * *

الحديث السادس والأربعون : روى عن بعض التابعين أنه قال : خلق الله آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الفردوس بيده . هذا لا يثبت عن قائله ، وقد تكلمنا على قوله تعالى ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ .

* * *

الحديث السابع والأربعون : روى ابن عباس عن النبي ﷺ فى قوله تعالى ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ أنه قال : كرسيه موضع قدمه ، والعرش لا يقدر قدره .

رواه جماعة من الأثبات فوقفوه على ابن عباس ، ورفع من شجاع بن مخلد (١) . فعلم بمخالفته الكبار المتقنين أنه قد غلط . ومعنى الحديث أن الكرسي صغير بالإضافة إلى العرش كمقدار كرسي يكون عند سرير قد وضع لقدمى القاعد على السرير ، قال الضحاك : الكرسي الذى تجعل عليه الملوك أقدامهم ، وقال القاضى (أبو يعلى) : القدم قدم الذات وهى التى يضعها فى النار .

(١) يقول الحافظ ابن حجر فى (تقريب التهذيب) : شجاع بن مخلد الفلاس أبو الفضل البغوى نزىل بغداد صدوق وهم فى حديث واحد رفعه وهو موقوف فذكره بسببه العقيلي فى الضعفاء . (ز)

الحديث الثامن والأربعون : حديث العباس عن رسول الله ﷺ أنه قال : فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض ، والله تعالى فوق ذلك .

هذا الحديث لا يصح ، تفرد به يحيى بن العلاء ، قال الإمام أحمد : هو كذاب يضع الحديث .

وقد تكلمنا فى الفوق فى قوله تعالى ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ .

قال القاضى (أبو يعلى) : المراد من الفوقية استواء الذات على العرش . وهذا الكلام أصله التجسيم .

* * *

الحديث التاسع والأربعون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربى أحدكم فله حتى يكون مثل الجبل » .

وفى لفظ أخرجه مسلم (فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل) .

قال العلماء : هذا خطاب للناس بما يعلمونه ويفهمونه من

الأخذ والتربية والنمو ، ولما كان التناول باليد والقبض بالكف خاطبهم بما يعقلون ، وإنما جرى ذكر اليمين لأنها مرصدة لما عز من الأمور ؛ ومعنى التربية المضاعفة .

* * *

الحديث الخمسون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه ذكر الدجال فقال : « ألا إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور » (١) .

قال العلماء : إنما أراد تحقيق وصفه بأنه لا يجوز عليه النقص ، ولم يرد إثبات جارحة ، لأنه لا مدح فى إثبات جارحة ، بل كأنه قال : إلا ربكم ليس بذى جوارح يتسلط عليها النقائص ،

(١) لفظ الحديث فى صحيح البخارى (أن الله ليس بأعور ، وأشار بيده إلى عينه وأن المسيح الدجال أعور عين اليمنى) وقد قال الحافظ ابن حجر : إن الإشارة إلى عينه ﷺ إنما هى بالنسبة إلى عين الدجال فإنها كانت صحيحة مثل هذه ثم طرأ عليها العور لزيادة كذبه فى دعوى الإلهية وهو أنه كان صحيح العين مثل هذه فطرأ عليها النقص ولم يستطع دفع ذلك عن نفسه اهـ . وقال الفخر الرازى فى (أساس التقديس) عند الكلام على هذا الحديث : وأما هذا الخبر فمشكل لأن ظاهره يقتضى أن النبى ﷺ أظهر الفرق بين الإله تعالى وبين الدجال بكون الدجال أعور وكون الله تعالى ليس بأعور وذلك بعيد ، وخبر الواحد إذا بلغ هذه الدرجة فى ضعف المعنى وجب أن يعتقد أن الكلام كان مسبوqاً بمقدمة لو ذكرت لزال هذا الإشكال ، أليس راوى هذا الحديث هو ابن عمر ثم إن المشهور أن ابن عمر لما روى حديث (إن الميت ليعذب ببكاء أهله) طعن عائشة رضى الله عنها فيه وذكرت أن هذا الكلام من الرسول كان مسبوqاً بكلام آخر واحتجت على ذلك بقوله تعالى ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ لو حكى لزال هذا الإشكال فكذا هاهنا أنه من البعيد صدور مثل هذا الكلام من الرسول اهـ .

وهذا مثل نفى الولد عنه لأنه يستحيل عليه التجزى . ولو كانت الإشارة إلى صورة كاملة لم يكن فى ذلك دليل على الإلهية ولا القدم ، فإن الكامل فى الصورة كثير .

* * *

الحديث الحادى والخمسون : روى البخارى فى أفرادهِ من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : « إن الله تعالى قال : ما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته » .

قوله (كنت سمعه وبصره) مثل ، وله أربعة أوجه :

(أحدها) : كنت كسمعه وبصره فهو يحب طاعته كما يحب هذه الجوارح .

(الثانى) : أن كليته مشغولة بى فلا يصغى إلى ما يرضينى ولا يبصر إلا عن أمرى .

(الثالث) : أنى أحصل له مقاصده كما ينالها بسمعه وبصره ويده اللواتى تعينه ، وأما التردد فخطاب لنا بما نعقل .

* * *

الحديث الثاني واخمسون : روى جبير بن مطعم قال : أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال : يا رسول الله جهدت الأنفس وجاع العيال وتهتكت الأموال وهلكت الأنعام ، فاستسق الله لنا فأستشفع بالله عليك . فقال رسول الله ﷺ « ويحك تدرى ما تقول وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجهه أصحابه ثم قال ﷺ إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك ويحك أتدرى ما الله ، إن عرشه على سمواته هكذا - وقال بأصابعه مثل القبة - وأنه ليئط به أطيظ الرحل بالراكب .

ومعنى قوله (أتدرى ما الله) أى أتدرى ما عظمة الله تعالى وجلاله ومعنى يئط به أى يعجز عن عظمته وجلاله إذ كان معلوماً أن أطيظ الرحل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله فقرب بهذا النوع من عنده معنى عظمة الله وجلاله ليعلم أن الموصوف بعلو الشأن لا يجعل شفيعاً إلى من هو دونه فى القدر ، وقد ذكرنا فيما تقدم عن القاضى (أبى يعلى) : يئط من ثقل الذات ، وهذا صريح التجسيم .

* * *

الحديث الثالث واخمسون : روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قرأ : (إنه كان سمياً بصيراً) فوضع إصبع الدعاء وإبهامه على عينيه وأذنه .

قال العلماء : أراد بهذا تحقيق السمع والبصر منه فأشار إلى الجارحتين اللتين هما السمع والبصر ، لا أن لله سبحانه وتعالى جراحة .

* * *

الحديث الرابع واخمسون : روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال : إن الله عز وجل ينزل في ثلاث ساعات بقين من الليل فيفتح الذكر في الساعة الأولى ، فيمحو ما يشاء ويثبت ، ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن وهي داره التي لم يسكنها غيره وهي مسكنه ثم يقول طوبى لمن دخلك ، ثم ينزل في الثالثة إلى سماء الدنيا بروحه وملأئكته فيقول بعزتي .

هذا الحديث يرويه زيادة بن محمد الأنصارى قال البخارى : وهو منكر الحديث وقال أبو حاتم بن حبان : يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك ، ونقول : على تقدير الصحة إنها مضافة إليه كما أضيف البيت إليه فهذا بيته وذاك مسكنه ، وإنما قلت هذا لأن السكنى مستحيلة في حقه سبحانه وتعالى .

* * *

الحديث الخامس والخمسون : روى أبو أمامة عن النبي ﷺ

أنه قال : « وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً وثلاث
حشيات من حشياته عز وجل » .

الحثية : ملء الكف ، والمراد التقريب بما نعقل ، لا حقيقة
الحثية .

* * *

الحديث السادس والخمسون : روى أبو أمامة عن رسول الله
ﷺ أنه قال : إن الله يجلس يوم القيامة على القنطرة بين الجنة
والنار .

يرويه عثمان بن أبى عاتكة ، وعن يحيى : ليس بشيء .

* * *

الحديث السابع والخمسون : روى القاضى (أبو يعلى) عن
محمد بن كعب قال : كان الناس إذا سمعوا القرآن من فى الرحمن لم
يسمعوه قط .

قال القاضى (أبو يعلى) : ولا يمتنع أن يطلق الفم عليه .

قلت : واعجباً يعنى (فى) الرحمن فمه ، فيثبت لله تعالى
صفة بقول تابعى لا تصح الرواية عنه ، هذا من أقبح الأشياء .

فأما الحديث الذى قد سبق عن أبى أمامة عن رسول الله ﷺ
أنه قال « ما تقرب العباد إلىَّ بمثل ما خرج منى » فالمعنى : ظهر

عنه ، ولا يجوز أن يظن أنه كخروج جسم من جسم .

* * *

الحديث الثامن والخمسون : روينا عن سهل بن سعيد عن رسول الله ﷺ « دون الله تعالى سبعون ألف حجاب من نور وظلمة ، وما من نفس تسمع شيئاً من حسن تلك الحجب إلا زهقت .
هذا حديث لا أصل له .

* * *

الحديث التاسع والخمسون : رواه أنس أن النبي ﷺ قال : إن لله تعالى لوحاً أحد وجهيه درة والآخرياً قوّة ، قلمه النور فيه يخلق وبه يرزق ، وبه يحيى وبه يميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء في يوم وليلة .

هذا حديث موضوع يرويه محمد بن عثمان ، وهو متروك الحديث .

* * *

الحديث الستون : روى جابر عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا رأيت الريح فلا تسبوه فإنها من نفس الرحمن تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب ، فاسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها » .

النفس بمعنى التنفيس عن المكروب ^(١) . ومثله ما روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إني لأجد نفس ريكَم من جهة اليمن » يعنى تنفيسه عن الكرب بنصرة أهل المدينة إياي ، والمدينة من جانب اليمن وهذا شيء لا يختلف فيه المسلمون .

وقال ابن حامد : رأيت بعض أصحابنا يثبتون لله تعالى وصفاً فى ذاته بأنه يتنفس ، قال : وقالوا الرياح الهابة مثل العاصف والعقيم والجنوب والشمال والصبا والذبور مخلوقة إلا ريحاً من صفاته هى ذات نسيم خيالى وهى من نفس الرحمن .

قلت على من يعتقد هذا اللعنة لأنه يثبت جسداً مخلوقاً ، ما هؤلاء بمسلمين .

قال المصنف : ولما علم بكتابى هذا جماعة من الجاهل لم يعجبهم لأنهم ألفوا كلام رؤسائهم المجسمة فقالوا : ليس هذا المذهب .

قلت : ليس مذهبكم ولا مذهب من قلدتم من أشياخكم ، فقد نزهت مذهب الإمام أحمد ونفيت عنه كذب المنقولات وهذيان المقولات غير مقلد فيما أعتقده ، وكيف أترك بهرجاً وأنا أنقده وقلت :

(١) يقول الزمخشري فى أساس البلاغة : ومالى نفس أى فرج . وقال ابن قتيبة : وقد فرج الله عن نبيه ﷺ بالريح يوم الأحزاب ، قال تعالى ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُوداً لِّم تَرَوْهَا ﴾ .

سبقت بحمد الله من كان من قبلى
فقل للذى يرجو لحاقى على مهل
وإنكم لو تنقصون عتابكم
لعز على التفتيش أن تجدوا مثلى
ثم قصيدة مطولة وهى :

حمدت إلهى كيف لا وله الفضل
كما قد تولانى فذلت لى السبل
وأخرجنى من بين أهلى مفهما
وعلمنى علماً به قيمتى تغلو
وحركنى للمكرمات أحوزها
فهمة نفسى دائماً أبداً تغلو
وألهمنى بالعلم حتى ملكته
فصار مرير الصبر عند فمى يحلو
وقد زاد عشقى للعلوم فأصبحت
كتمثال ليلى عند قيس فما يسلو
فما من علوم بثها الله فى الورى
إلى خلقه إلا ولى معها وصل
وصنفت ما قد صنف الناس جنسه
فيا قاصدى الإنصاف لى ميزوا وأبلوا
ولى من بديهات الكلام عجائب
تكر عليهم كلما طولت تحلو
وقد قادنى علمى إلى الزهد فى الدنا
وما جمعا إلا لعبد له فضل
نعم وتقاة الله أشرف خلة
ولا خير فى قول إذا ضيع الفعل
قنوعى بما يكفى يقينى من الأذى
وبعد يقينى بالمقادير لا ذل
وأحسن من علم ترامى بأهله
إلى مين مخلوق يماثله الجهل
وأسكن قلبى حب كل محقق
عشقت كما قد تعشق الأعين النجل

وبغداد دار ليس يغبن أهلها وما حبهم إلا لمن ماله شكل
وكل البلاد أشحنتها فضائلها أقر بفضل الدين والحزن والسهل
وذكرى وراء النهر بالفضل وافر وفي المغرب الأقصى وما بلغت إبل

* * *

ولما نظرت في المذهب كلها طلبت الأسد في الصواب وما أغلو
فألفيت عند السبر قول ابن حنبل يزيد على كل المذاهب بل يعلو
وكل الذی قد قاله فمشيد بنقل صحيح والحديث هو الأصل
وكان بنقل العلم أعرف من روى يقوم بأنباء وإن شانه عضل

* * *

ومذهبه أن لا يشبه ربه ويتبع في التسليم من قد مضى قبل
فقام له الحساد من كل جانب فقام على رجل الثبات وهم زلوا
وكان له أتباع صدق تتابعوا فكم أرشدوا نحو الهدى ولكم دلوا
وجاءك قوم يدعون تمذهباً بمذهبه ما كل فرع له أصل
فلا في الفروع يثبتون لنصره وعندهم عن فهم ما قاله شغل
إذا ناظروا قاموا مقام مقاتل فواعجباً والقوم كلهم عزل
قياسهم طرداً إذا صدروا به وهم من علوم النقل أجمعها عطل

إذا لم يكن فى النقل صاحب فطنة
ومالوا إلى التشبيه أخذاً بصورة الـ
وقالوا الذى قلناه مذهب أحمد
وصار الأعادى قائلين لكنا
فقد فضحوا ذاك الإمام بجهلهم
لعمرى لقد أدركت منهم مشايخاً
وما زلت أجلوا عنهم كل خلة
تسموا بألقاب ولا علم عندهم
موائدهم لا يلحق الخل بقلها

* * *

وأكثر حساد لنا أهل مذهبي
تمنوا بجهل أن تزل بى النعل
ومنذ مضى شيخ الجماعة أحمد
لقد بات عندى ألف ألف يقوموا
وروضات علمى كلها تمرح الجنا
وكيف ترى تبرى الحسود وداؤه
تفرد بالبغض القبيح مخالف

* * *

تم كتاب دفع شبه التشبيه للإمام ابن الجوزي

جاء في آخر (مجلس في نفى التشبيه من أمالي الحافظ أبي القاسم

علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي) : أنشدنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن

منصور المؤمل لنفسه :

الله أكبر أن يكون لذاته كيفية كذوات مخلوقاته

أو أن تقاس صفاتنا في كلما نبديه من أفعالنا بصفاته

تبألذى سفه يقول بأنه جسم وأن سماتنا كسماته

لبديع صنعته عليه شواهد تبدو على صفحات مصنوعاته

ذرا الأنام بقدرة أزلية وأراده فيهم لتقديراته

ورأى بعين العلم ما تأتى به لمحات أعينهم وما لم تاته

* * *

الفهرس

الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
٢	بعض مصنفات ابن الجوزى الدينية
٤	المردود عليهم فى هذه العجالة
٥	بعض الصفات التى حملها مشبه على ظاهره
٧	فصل فى الأغلاط التى وقع فيها المردود عليهم
١٠	باب ما جاء فى القرآن العظيم من آيات الصفات الحافظ أبو بكر بن خزيمة وإنه ممن سقطوا فى هوة
١١	التشبيه
	تمسك المشبه بظاهر الآيات التى توهم تعيين الجهة
٢١	وتأويلهم ما يخالف ذلك بزعمهم
٢٦	باب ذكر الأحاديث التى سموها أخبار الصفات
	خطأ ابن قتيبه فى قوله : لله صوره لا كالصور
٢٩	فخلق آدم عليها
	رأى ابن حزم الظاهرى فى حديث النزول واعتماده
٤٨	فى ذلك على علم الفلك

الموضوع	الصفحة
تقسيم الناس فى أخبار الصفات على ثلاث مراتب.	٥٧
ما اختاره ابن دقيق العيد فى التأويل	٥٩
ما ذهب إليه الآلوسى فى جواز التأويل	٥٩
خاتمة الكتاب ، وذكر بيتين للمصنف يحمده الله بهما قصيده مطولة يبين فيها المصنف عشقه للعلوم واختياره لمذهب الإيمان أحمد	٧٩

من تراث الكوفري

